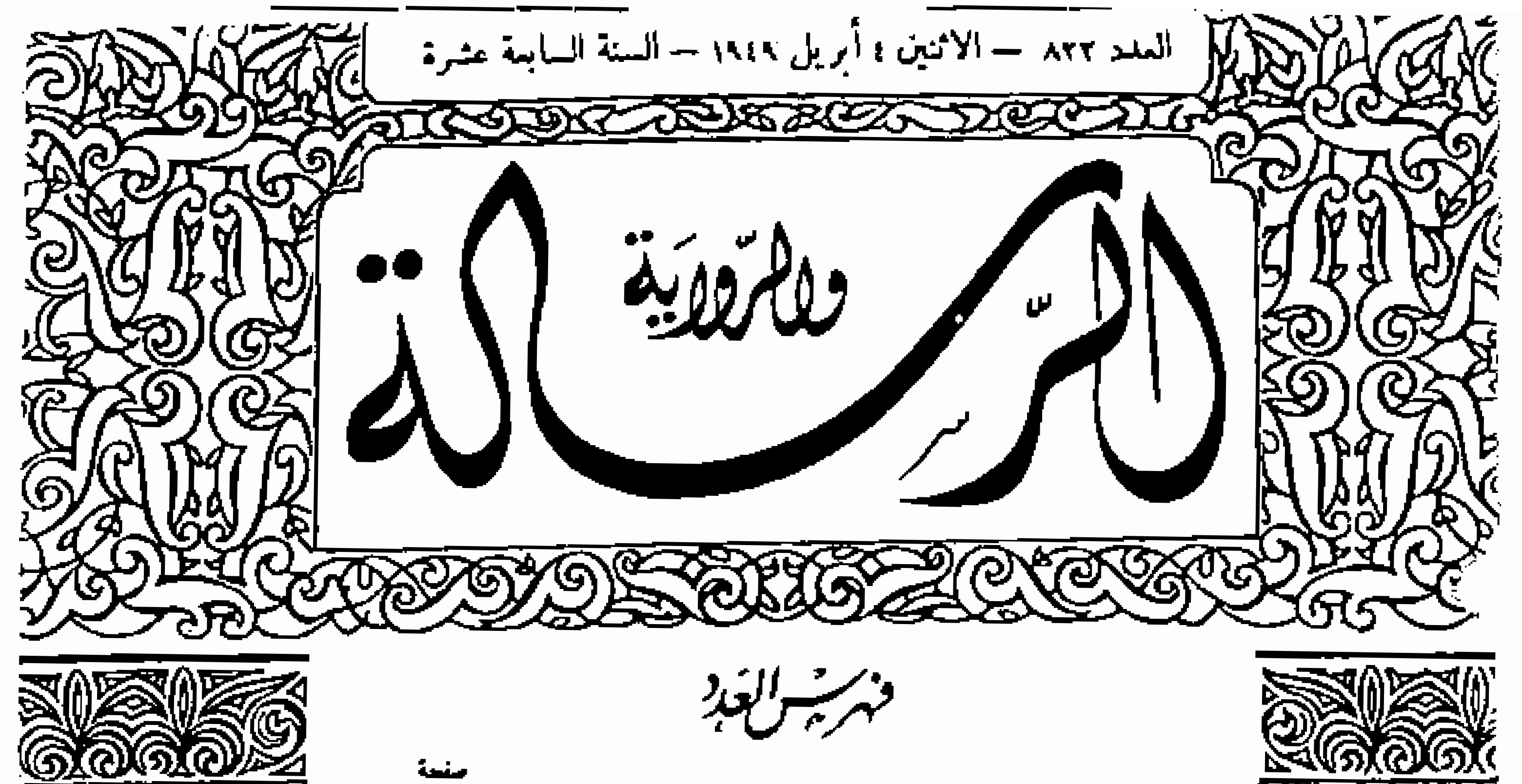


فهرس العدد

٣٢٠٢٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 822

Lundi — 4 - 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨٢٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ٤ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

رؤيا مزعجة

لم أكد آوي إلى فراشي البارحة حتى انثالت على خاطري صور أشتات من جملة ما سمعت وقرأت عن حال المشردين من عرب فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجُرِّدوا من مالهم بغير رحمة ، وقُضي في مصيرهم بغير عدل . وكان مبعث هذه الصور حديث سمعته عصر الأمس من صديق عاد من فلسطين بعد ما رأى بعينيه أفظع مناظر البؤس ، وسمع بأذنيه أروع مآسي الحياة . وكنت وهو يتحدث أتمثل من خلال وصفه طرائد مهيبين من ورثات المجد وربائب النعيم يلوذون بعناور الجبال وكهوف الأودية ، ويتبلغون بيابس النبت وآسن الماء ، ويتسترون بأخلاق الثياب ومِزَق الخيش ، وأطفالهم دقاق الأشباح فوق ظهورهم أو بين أيديهم يتضاغون من الجوع ويتطارحون من الكلال ؛ ونساؤهم الشواحب العجاف يجررن أرجلهن الدامية على الحصى جراً فلا تكاد تتبعهن من فرط اللغوب . فإذا ذكرن ما صنع بهن علوج إسرائيل ذرفن ما بقي في المآق ، ثم تطلعن كما تي إلى صلاح الدين الماضي يستصرخنه للمجد المثلوب ، والتراث المغصوب ، والعرض المسلوب ، فذهب وا أصداء ريح (غربية) تعدل بصراخهن من القصر إلى القفر ، فلا يسمعون وربث الرشيد ، ولا يجدهن سليل المتصم!

أمست هذه الصور المروعة تتمثل في ناظري ، أو تتراءى في خاطري ، وصوارف العمل أو شواغل الناس تخففها الساعة بعد الساعة ، حتى خلوت إليها على وسادي القلق ، فتوالت في ظلام الغرفة مسرعة على عيني ، كما تتوالى صور الفلم متلاحقة على عين الشاهد ، فرأيت في أطراف فلسطين وعلى حدود جاراتها المضيافة ثلاثة أرباع المليون من كرام العرب يعيشون في المضارب والملاجئ عيش الحرمان ، يقتاتون الشوف ، ويكابدون الجوع والخوف ، وينظرون إلى رياضهم الجنية تعيث فيها الذئاب ، وإلى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لأنفسهم إلا عبرات تنحدر وزفرات تتصعد ، ومجلس الأمن ووسيط هيئة الأمم ولجنة التوفيق ودول الديمقراطية يستطعمون الواغل لصاحب المأدبة فلا يُطعم ، ويستعطفون الدخيل على مالك الدار فلا يعطف!

وثقل الأسى على أعصابي المضطربة فنطبق النوم . ولا أدري بعد كم دقيقة أو ساعة من رقادي دخل عليَّ في مكتبي صديق التفور له إسعاف النشاشيبي في هيئة مبذوءة وثياب رثة : بذلة من الصوف المهلهل لا لون لها من البلى ولا سالم ، وطربوش كلبدة الفلاح دارت عليه لفافة من بقايا قيص ممزق ، وحذاء غليظ من أحذية الجيش لا رباط له ولا جورب ... فقلت له وأنا لا أصدق عيني ولا أملكهما : ماذا صنع الدهر بالثريّ السخي الترف المتطلس يا إسعاف؟! فقال في تسليم واستكانة : هوما ترى! رأيت بيتي حي (الشيخ جراح) يُستباح ويجتاح ، وداري العربية تحتلها كتيبة يهودية ، ومكتبتي الحبيبة تنقل إلى الجامعة العبرية ، وضياعي الخصيبة في يافا يحول بيني وبينها إلى تل أبيب ! فلما رأيتني أصبحت لا دار ولا أهل ولا يلك ولا مال ، هاجرت مع المهاجرين ،

ولجأت إلى مصر مع اللاجئين. وقد كنت تقول لي وأنا أوثر « الرسالة » بجهدي الضئيل: لولا غناك لأعطيناك. وها أنا اليوم أصبحت فارغ الكف والقلب من المال والأمل، لا في الجيب ولا في الغيب! ثم بكى فبكيت! وسمع نشيجي بعض أهلي فأيقظوني، فاستيقظت وأنا أحمد الله لصديقي أن مات، قبل أن يتقاسم وطنه وقومه هذه النكبات!

احمد حسن الزيات

الجديد في القضية الأندونوسية

للأستاذ عمر حليق

الحالة في أندونوسيا بناء على التقارير الواردة إلى لايك سكسس مقر هيئة الأمم المتحدة تشير إلى أن سياسة « الأمر الواقع » التي اتبعتها الحكومة الهولندية للقضاء على الجمهورية الأندونوسية سياسة مصيرها الفشل، وأن نجاح الحملة الهولندية العسكرية كان نجاحاً مؤقتاً لعبت فيه الدعاية دوراً موفقاً بادئ الأمر، إلا أن حقيقة الأوضاع العسكرية والسياسية تظهر بوضوح تعقد الحالة مما يتطلب تغيراً جوهرياً في موقف الهولنديين من الجمهورية الأندونوسية، ومن عنادهم تجاه مقررات مجلس الأمن الدولي، ومن الصوت الأسيوي الذي ناصر الأندونوسيين من مؤتمر نيودلهي

والتقارير عن الحالة في أندونوسيا ترد من ثلاثة مصادر:

(ا) لجنة التوفيق الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة التي تعمل الآن في أندونوسيا. (ب) ممثلي الجمهورية الأندونوسية.

(حـ) الحكومة الهولندية.

وفيما يلي بإيجاز أهم ما بعثت به هذه المصادر الثلاثة من معلومات تلقي ضوءاً على مستقبل الصراع بين الحرية والاستعمار في ذلك الجزء المهم من العالم الإسلامي:

فلجنة التوفيق الدولية (وهي المعروفة سابقاً بلجنة المساعي الحسنة) تؤكد بأن الوضع العسكري وحالة الأمن في أندونوسيا هما الآن أبعد ما يكونان عن الاستقرار، فلقد احتلت القوات الهولندية في ضربات خاطفة، وبعد استعداد شهور طويلة، بعض المدن الأندونوسية الكبرى، ولكنها عجزت عن السيطرة على أكثرية المناطق الريفية كما عجزت عن تأمين المواصلات بين مناطق احتلالها وعن حفظ الأمن حتى في المدن التي ترابط فيها الجيوش الهولندية. ويقول مراقبو هيئة الأمم إن حرب العصابات قد أخذت تشتد، وإن فلول قوات الجمهورية الأندونوسية قد أعادت تنظيم صفوفها وتركيز قيادتها، وإنها تسيطر على أجزاء شاسعة من البلاد، وإنها أخذت تشن حملات هجومية موفقة على الهولنديين في معاقلهم في المدن الكبرى، وتتعمد قطع المؤونة عن القوات الهولندية في المناطق البعيدة عن الموانئ ومراكز التموين، وتتعمد قطع المواصلات بين هذه القوات حتى ولو أدت إلى إحراق الزرع وتخريب المنشآت العمومية. ولعل في هذا النشاط حافزاً للذين يعنون مستقبل الصراع في فلسطين!

ويقول هؤلاء المراقبون كذلك أن معظم السكان الأندونوسيين ينهجون منهجاً سلبياً في مناطق الاحتلال الهولندي فيتعمدون المقاطعة وعرقلة الأعمال التي تعود على الهولنديين بالنفع.

وتلخص تقارير اللجنة الدولية هذا الوضع العسكري السيئ فتقول إنه ليس للحكومة الهولندية قوات عسكرية كافية لحفظ النظام في منطقة الجمهوريين، وإن الإدارة المدنية الهولندية هناك لا تحظى بثقة الشعب وتعاونه، وإن على الهولنديين والحالة هذه أن يكفوا عن المراوغة وأن يعيدوا نظام الحكم الجمهوري، وأن يعملوا قرارات مجلس الأمن القاضية بتأليف اتحاد الولايات الأندونوسية في نطاق الحكم الذاتي الذي يتدرج بالبلاد في فترة شهور قصيرة إلى الاستقلال التام، بعيداً عن السيطرة الهولندية.

وترد الحكومة الهولندية على تقارير اللجنة الدولية هذه فتقول إن تحليل الوضع العسكري والسياسي في البلاد هو رأي خاص تبديه اللجنة، وإنه لا يستند إلى المعلومات الوافية الصحيحة.

ولكن الهولنديين يعترفون مع ذلك بأن الوضع في أندونوسيا ليس مرضياً، ولذلك فإنهم تواقون إلى التعاون مع الزعماء الجمهوريين الوطنيين في إيجاد حل وسط — حكومة اتحادية تشمل المناطق الرئيسية الثلاث في الجزر الأندونوسية تكون مرتبطة بالعاصمة الهولندية لاهاي ارتباطاً من شأنه أن يحفظ المصالح الهولندية التي يعيش عليها الجزء الأكبر من الاقتصاد الهولندي لا في أندونوسيا فحسب، بل في هولندا نفسها.

وجواب ممثل الشعب الأندونوسي من الوطنيين الجمهوريين على هذه المقترحات الهولندية يؤكد بأن طبيعة التعاون الذي تنشده هولندا يقضي على بعض الحقوق الأساسية للقوميين الأندونوسيين. فيشير الدكتور محمد رويم Roem رئيس الوفد الأندونوسي الملحق بلجنة التوفيق الدولية في مذكرة بعث بها إلى

مجلس الأمن مؤخراً إلى أن طريقة التسوية التي تدعو إليها هولندة تخالف اتفاقية سابقة عقدتها هولنده مع الحكومة الجمهورية الأندونوسية المعروفة باتفاقية رنفيل Renville ، كما تخالف قرارات مجلس الأمن فضلا عن تجاهلها بعض النواحي الهامة من حقوق الأندونوسيين الشرعية .

ويقول الدكتور رويم : إن الجمهورية الأندونوسية كانت وليدة الصراع الهائل الذي حمل لواءه الأندونوسيون ضد الاحتلال الياباني إبان سيطرته على الجزر الهولندية خلال الحرب العالمية المنصرمة ، وأن هولنده عجزت عن حماية الأندونوسيين من العدوان الياباني ، وتركتهم لمصير قاتم عند ما تراجعت القوات الهولندية في جبن أمام جحافل اليابانيين . ولقد بذل الوطنيون الأندونوسيون أرواحاً غالية ثمن الاستقلال الذي عملوا له في وجه العسف الياباني ، وأعلنوه عند ما واتتهم الفرصة السانحة في أعقاب هزيمة اليابان .

فأي حق لهولندة أن تطالب بأن تكون شريكة في تقرير مصير أندونيسيا أو أن تطالب بحقوق وامتيازات ؟

ثم إن هناك نقطة قانونية تصر على أهميتها مذكرة الدكتور محمد رويم ؛ وهي أن النزاع بين الجمهورية الأندونوسية وهولنده هو نزاع دولي وليس نزاعاً محلياً كما يدعي الهولنديون ؛ فقد اعتدت دولة هولنده على دولة أخرى (هي الجمهورية الأندونوسية) ذات سيادة اكتسبتها بالدم والنار ولها من العمر ثلاث سنوات معترف بها من دول عديدة في طليعتها دول الجامعة العربية . وقد اعترف بها مجلس الأمن الدولي كذلك ، ووصف الهولنديين بأنهم خصم للجمهورية الأندونوسية ، إذن فدعوة الحكومة الهولندية دعوة غير قانونية ، والمشروع الهولندي الذي تحاول هولنده بواسطته أن تسوى النزاع مشروع باطل لا يستند إلى قانون فوق كونه يتضمن في خبث القضاء على حرية الشعب الأندونوسي وسيادته . فهو يرمي إلى تقسيم البلاد ثلاث مناطق، كل منطقة لها حكم ذاتي خاص، ولكنها تشترك في إدارة مركزية تكون سيطرة الهولنديين عليها قوية في معظم الشؤون الداخلية ، وفي السياسة الخارجية .

وهذه المناطق الثلاث التي يقترحها الاستعمار الهولندي للبلاد الأندونوسية مقسمة تقسيما مشوها يخدم مصالح الهولنديين ويعبث بالوحدة الاقتصادية والثقافية للبلاد . وفوق ذلك فإن القسم الذي تمكن فيه نفوذ الجمهورية الأندونوسية هو أكبر الأقسام فهو يضم الأكثرية الكبرى من السكان (٦٠ من ٧٥ مليونا) والقسمين الآخرين (جزرة بورنيو وجزر شرق أندونيسيا) لا يضم من السكان سوى ١٥ مليونا يخضعون قسراً لإدارة صورية لا تنال ثقة الشعب بها ، ومع ذلك فإن الحكومة الهولندية بموجب مشروعها المذكور تنوي إعطاء هاتين المنطقتين الأخيرتين صوتين مقابل صوت واحد لمنطقة الجمهورية الأندونوسية التي تشكل ٩٠ بالمئة من السكان . وتؤكد مذكرة الدكتور رويم بأن الإدارات الصورية التي أقامها الهولنديون في مناطق سيطرتهم في بورنيو ومنطقة الجزر الشرقية في أندونوسيا لن يتسنى لها أن تعيش ساعة واحدة إذا سمح للشعب الذي تسيطر عليه أن يعبر عن رغبته الصادقة باستفتاء محايد أو انتخابات ديمقراطية .

ويضيف ممثلو الجمهورية الأندونوسية في تفنيدهم لما استتر من شر في المشروع الهولندي مشيرين إلى أن فترة انتقال الحكم من الهولنديين إلى الوطنيين جعلت بطريقة تجعل السيادة الوطنية في المستقبل حين تتحقق ، سيادة قلقة ضعيفة لا تلبث أن ترتمي في أحضان الاستعمار الهولندي . إذ أن القوة الحقيقية في فترة الانتقال ستظل في أيدي الهولنديين وسيمنع الجمهوريون في فترة الانتقال هذه من ممارسة الإدارة ، والحكم في مراكز التوجيه وسيمنعون حتى من إنشاء قوات بوليسية وعسكرية لحماية البلاد وصيانة الأمن ويترك ذلك كله في يد الجيش الهولندي ، ولن يكون للأندونوسيين تمثيل سياسي خارجي ولا اتصال مباشر بالعالم الخارجي .

وقد بحث مجلس الأمن مؤخراً هذه الشكاوى والادعاءات والتقارير الواردة من المصادر الثلاثة : اللجنة الدولية ، وممثل الجمهوريه الأندونوسية ، ومن الهولنديين ، فقرر أن تظل قراراته السابقة بصدد النزاع في أندونيسيا أساساً لتسوية الحالة . وهذه القرارات في جملتها في صالح الوطنيين الأندونوسيين وهم يرجونها أن تكون أساساً للحكم على مستقبل السيادة في ذلك الجزء الغني من القارة الآسيوية .

وقد ندد مجلس الأمن بموقف الحكومة الهولندية بصدد

وقد أدخل فى كتابه كتاب «وقعة صفين» لنصر وجزأه إلى أقسام جعل كل قسم فى الموضع الذى يليق به من الخطبة أو الإشارة . وقد أدخل فى كتابه فى الواقع كتباً أخرى من الكتب التى ألفت قبله ولا مجال للبحث منها فى هذا المكان .

وقد دفعنى البحث الذى أقوم به فى الوقت الحاضر عن المصادر التى أخذ منها الطبرى فى تاريخه المعروف لمجلة المجمع العلمى العراقى على مراجعة كتاب « وقعة صفين » فى جملة كتب كثيرة رجعت إليها فكان تحقيق الأستاذ السيد عبد السلام محمد هارون محقق هذا الكتاب الذى طبع عام ١٣٦٥ للهجرة فى القاهرة هو الحافز لى على الكتابة فى هذا الموضوع .

والحق أن الأستاذ قد أجهد نفسه وبذل عناية تستحق التقدير فى إخراج هذا المؤلف الثمين ، وقد وضع لرجال السند وللأشخاص الرواة تراجم مختصرة تناسب المقام وزينه بفهارس أحيت الكتاب ، وهو عمل متعب لا يعرف مشقته إلا الساكين الذين دفعهم القدر إلى الاشتغال بالتحقيق فى بلاد لا تقيم للتحقيق العلمى وزناً ولا تضع له أية قيمة .

وقد حملنى إعجابى بالإخراج على إبداء بعض الملاحظات البسيطة التى جاءت فى المقدمة . من ذلك قول المحقق « طبع هذا الكتاب لأول مرة على الحجر فى إيران سنة ١٣٠١ وهذه الطبعة نادرة الوجود عزيزة المنال حتى أنها لم تدخل خزائن دار الكتب المصرية إلا منذ عهد قريب ، وهى نسخة مروية تقع فى ثمانية أجزاء فى صدر كل منها سند الرواية التى تنتهى إلى نصر بن مزاحم وهذه الأجزاء الثمانية فى ٣٠٥ صفحة ... الخ ... » .

وقد تحدث السيد عبد السلام محمد هارون عن حالة الكتاب فى مصر ، أما فى العراق فهو موجود يباع عند الوراقين بثمن زهيد وكنت أود أن يشير إلى ما ذكره المستشرق « بروكلمن » منه فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » فمثلى أنه يستحسن من كل محقق أو مؤرخ الإطلاع على ما جاء من الكتب وأصحابها وإن كان البحث لا يخلو من أوهام فى بعض الأوقات . فقد أشار « بروكلمن » إليه وذكر أنه طبع سنة ١٣٠١ (١٨٨٤) بمدينة طهران طبعه « فرج الله الكاشانى » . وكنت أود أن يشير إلى ذلك اعترافاً بخدمة من سبقنا من الباحثين . والظاهر أن الأستاذ لم يراجع كتاب هذا المستشرق وإلا كان فى مقدمة من أشار إليهم .

والواقع أن الأستاذ لو قرأ الصفحة الأولى من كتاب « وقعة صفين » المطبوع بإيران لوجد إسم الناشر إذ جاء فيها : « يقول الراجى عفو ربه الغنى فرج الله بن هاشم العلوى الناطمى الحسينى أن كتاب الصفين فى شرح غزاة أمير المؤمنين ... الخ » . وجاء فى آخر الكتاب اسم الخطاط الذى طبع الكتاب على الحجر واسمه محمد حسن فى سنة ١٣٠٠ هـ لا سنة ١٣٠١ كما ذكر ذلك بروكلمن والأستاذ عبد السلام محمد هارون .

وجاء فى مقدمة السيد هارون « وهناك نسخة ثالثة كانت فى ضمير الغيب وأمكننى أن أكشفها شيئاً فشيئاً بمطالعتى فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد الذى جرت عادته على أن يضمن تأليفه جملة من الكتب ينثرها فى تضاعيف كتبه ... » . وكنت أود أن يطلع الأستاذ على كتاب بروكلمن فقد أشار فيه إلى أخذ ابن أبى الحديد لكتاب صفين ونثره فى تضاعيف كتابه كما أشار إلى النسخة التى أشار إليها السيد عبد السلام محمد هارون وهى المطبوعة فى بيروت عام ١٣٤٠ بعد حذف الأسانيد منها . وكنت أود ألا يكتفى الأستاذ بقراءة النص المطبوع بإيران ، بل كنت أطمع أن يقرأ الصفحة الأولى منه وهى مقدمة أشار فيها إلى كتاب آخر حوى وقعة صفين وهو كتاب شهير جداً يقال له « بحار الأنوار » وقد قرأ « بروكلمن » الصفحة الأولى من طبعة « وقعة صفين » التى اعتمد عليها السيد عبد السلام محمد هارون فأشار إلى هذا الكتاب .

وكتاب « بحار الأنوار » دائرة معارف فى العلوم الشرعية والتاريخ وهو من مؤلفات محمد باقر بن محمد تقى المجلسى الأصفهانى المتوفى سنة ١١١٠ للهجرة (١٧٠٠ م) ويقع فى ٢٦ مجلداً بدئ بطبعه طبعاً حجرياً سنة ١٣٠٣ وانتهى منه سنة ١٣١٥ ، وقد حوى المجلد الثامن منه وهو المجلد الخاص بالإمام على بن أبى طالب على وقعة صفين ، فأدخل المجلسى كتاب وقعة صفين فى هذا المجلد وشغل حيزاً واسعاً منه من صفحة ٤٨٤ حتى صفحة ٦٢١ . ولو طالع الأستاذ هذا الكتاب الذى أشار إليه « بروكلمن » وقبله ناشر كتاب وقعة صفين فى الصفحة الأولى منه لوجد

أساليب التفكير :

التفكير الفلسفي

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

غرض التعريف :

عودتنا كتب الفلسفة التي تقدم لعامة القراء أن تطالعنا في السطور الأولى بمعنى كلمة فلسفة فتردد إنها كلمة من أصل يوناني مركبة من « فيلو » أي محب و « سوفيا » أي الحكمة ، وتنتهي من ذلك إلى أن الفلسفة معناها « محبة الحكمة » . ثم تمضي لتؤكد في جرأة أن أول من استعمل الكلمة للدلالة على علوم الفلسفة عالم يوناني من أعلام الرياضة والفلك والموسيقى ، فيثاغورس الذي توفي في القرن الخامس قبل الميلاد ؛ إذ قال : « لست حكيما ، فالحكمة لا يتصف بها غير الآلهة وما أنا إلا محب للحكمة » . تردد الكتب ذلك القول مع أنه لم يثبت بالدليل التاريخي الثابت أن فيثاغورس أول من استعمل كلمة فلسفة بمعنى اصطلاحي ، فالمؤرخ « هيرودوت » يذكر أن « كريزوس » قال « لصولون » إنه سمع أن صولون قد جاب كثيراً من الأقطار يتفلسف ، وأن الذي دفعه إلى ذلك رغبته في المعرفة(١) .

ولذلك يحق لنا أن نرجح أن هيرودوت أول من استعملها للدلالة على علم من العلوم ، أو — على الأقل — أن نشك في نسبتها إلى فيثاغورس .

وعودنا جمهور المثقفين أن يتساءل عن معنى الفلسفة ، ويطلب تعريفاً جامعاً مانعاً لها في كلمات قلائل، ولما كان موضوع الفلسفة غير واضح المعالم ، غير محدود الأفق ، ولما كانت المعرفة الفلسفية متشعبة الأطراف ، متنوعة الاتجاهات حتى ليستحيل أن تفضي إلى نتائج ثابتة نهائية شأن العلوم المختلفة ، لما كان الأمر كذلك تعذر تعريف الفلسفة على اعتبار أنها لون من ألوان التفكير البشري ، أو فرع من فروع المعرفة الإنسانية .

وإذا كان الفلاسفة قد تصدوا لتعريفها فإن تعريفاً واحداً من تعريفاتهم لم ينج من النقد فضلا عن التجريح ، حتى ليتعذر علينا أن نجد فيلسوفين يتفقان على تعريف واحد . سر ذلك أن كل فيلسوف إذ يتصدى للتعريف إنما يكون واقعاً تحت تأثير فلسفته الخاصة فيكون التعريف الذي ينتهي إليه مجرد عبارة قصيرة توجز

(١) (المدخل إلى الفلسفة) تأليف كوليه وترجمة أستاذنا الدكتور أبو العلا عفيفي .

الكتاب كاملا ولوجد له نصاً ثانياً يساعده كثيراً على التحقيق . والظاهر أنه لم يعثر عليه في دار الكتب المصرية وفي مكتبات مصر .

وقد أشار المجلسي في كتابه إلى وجود زيادات في كتاب صفين لم ترد في كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . وقد استفاد المجلسي وهو عالم محقق واسع الاطلاع من نسخة قديمة لكتاب وقعة صفين . كما استعان بكتب أخرى من هذه الوقعة مثل « كتاب صفين » لإبراهيم بن ديزيل الهمداني الذي من رواته « حبة العرني » وهو من رواة نصر بن مزاحم . وكذلك سيف ابن عمر التميمي الكوفي المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة الراوية الشهير صاحب الكتب في الردة والفتوح والجمل ومسير عائشة وعلي . وقد نقل عن المصعب بن حكيم بن شريك بن نملة الكوفي . ومثل كتاب شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني وغير ذلك .

وقد سبق لعالم آخر أن اعتمد على كتاب « صفين » فأخذ منه شيئاً حذفت منه الأسانيد هو الشيخ السيد محسن الأمين من علماء الشام أدخله في كتابه « أعيان الشيعة » في الجزء الخاص بالإمام علي المطبوع سنة ١٣٥٤ للهجرة والظاهر أن الأستاذ لم يقف عليه .

هذه ملاحظات بسيطة دفعني على تدوينها موضوعي الذي اشتغل فيه في الوقت الحاضر عن « مصادر تاريخ الطبري » لا تغض من قيمة الكتاب سجلتها رغبة مني في التنقيب لأن العلم بحر لا يحاط به مهما أوتي الإنسان من علم . أرجو من القارئ ألا يسيء ظنه في قيمة التحقيق والإخراج .

(بغداد) جواد علي

فلسفته ، وتركز مذهبه .

أفلاطون ، مثلا ، يصف الفيلسوف بأنه شخص غايته معرفة الأمور الأزلية ، أو الوصول إلى حقائق الأشياء ، أو الارتقاء من العلم بشئون حياتنا الوهمية إلى إدراك مسائل الحياة الأزلية . وهو يصدر فى ذلك عن نظرية عرف بها ، نظرية المثل أو المثل ، التى ترى العالم المحسوس الذى نحيا فيه حياتنا الراهنة عالم أشباح زائلة ، لحقائق أزلية أبدية لا تحس وإن لم يكن من المستحيل إدراكها إن اصطنعنا التأمل العقلى الخالص من أوهام الحس والبدن . فيصبح العلم بأمور هـذا العالم ثانوياً ، فى حين يصبح العلم الحق هو الإحاطة بعالم الحقائق الأزلية الروحية ، وما ذلك العلم غير الفلسفة . بل تراه يقول : « الفيلسوف الحق هو ذلك الذى يسعى إلى انتزاع الروح من الجسد » (١) ألا يلخص ذلك القول نظريته فى العلاقة بين الروح والجسد التى ترى الإنسان لا مركبا من روح وجسم ، بل تراه روحاً حلت عرضاً فى جسد هو سجن لها ينبغى أن تتحرر منه ؟

وشيشرون ، الخطيب الرومانى ، ينافح عن الفلسفة الرواقية التى تدين بالفضيلة غاية للحياة ، وترى السعادة فى الخضوع لمحتوم القضاء ، والإذعان للقدر ، والابتسام للخطوب ، والرضا بواقع الأمور . ذلك أن الأمور ليست فوضى إنما هى وفق إرادة عليا خيرة عاقلة ، ثم هى فضلا عن ذلك مثبتة فى أرجاء الكون ، حالة فى جنباته . حتى لتصبح السعادة شأناً من شئون النفس لا يتوقف على الظروف الخارجية ، ولا يرتهن باعتدال الأمور أو تقلب الأحوال ، إنما هى طوع أمرك إن ارتضيت حكم الإرادة الكلية ، وازدريت اللذات الجسدية . ينافح شيشرون عن الفلسفة الرواقية هذه ، فهل نعجب حين يذكر فى معرض الحديث عن الفلسفة : « أيها الفلسفة ! أنت الدرة لحياتنا : أنت صديق الفضيلة وعدو الرذيلة ، ماذا تكون حياة الإنسان لولاك ؟! » أو حين يضع حدود المعرفة الفلسفية بقوله : « إن الفلسفة هى العلم بأفضل الأشياء ، والقدرة على الانتفاع به بكل وسيلة ممكنة » .

إن شيشرون بقوله هـذا لم يعرف الفلسفة بقدر ما عرفنا وجهة نظره الخاصة .

وأرسطو ، المعلم الأول ، يقسم الفلسفة إلى فروع عدة جميعها حكمة بيد أن «ما وراء الطبيعة» أحق تلك الفروع باسم الحكمة وهو يسمى علم ما وراء الطبيعة « الفلسفة الأولى » فى مقابلة « الفلسفة الثانية » ويعنى بها العلم الطبيعى . ويعرف الفلسفة الأولى بأنها العلم الإلهى الذى يبحث فى الله ، المحرك الأول ، مسبب الأسباب وعلة العلل ، ذلك أن دراسة الله عبارة عن دراسة الوجود من حيث هو كذلك ، فضلا عن أن الطبيعة الحقة للوجود تتجلى فيما هو دائم لا فيما هو زائل .

وإليك مثل من الشرق العربى ، عالم مسلم مشبوب العاطفة الدينية ، ذلك هو الجرجانى ، بطل التعريفات ، يعرف الفلسفة بأنهـا « التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية » . فيأتى تعريفه خير معبر عن نزعته الفكرية فكيف ننتظر منه أن يكون تعريفاً للفلسفة فى ذاتها ؟!

وإذا كان معنى الفلسفة يختلف من فرد إلى آخر فهو يختلف كذلك من عصر إلى آخر . كان فى القرون الوسطى العلم الذى يصل إليه العقل بطريق النظر الفكرى الصرف فى مقابلة العلم الإلهى الذى يصل إليه الإنسان بطريق الوحى .

وهكذا صار معنى الفلسفة العلم العقلى المنظم . وفى العصور الحديثة تدل كلمة فلسفة على مجموعة العلوم النظرية التى تستند إلى النظر العقلى الصرف فى مقابلة مجموعة العلوم المستندة إلى الملاحظة والتجربة .

ناهيك بشتى التعريفات التى تنكر الفلسفة وتزدرى الفلاسفة يطلقها نفر من المتزمتين الحرفيين فى تدينهم ، يصدرون فى تعريفهم لها عن تهيب من العقل وخشية على إيمانهم السطحى من عمق التأمل العقلى ؛ أو يتفكه بها قوم من المازحين الجهلاء يصدرون فى تعريفهم لها عن العداء لما يجهلون : فمن تعريف لها بالكفر والزندقة ، إلى القول بأنهـا تعقيد البسيط ، إلى اتهامها بتهمة الثرثرة والقدرة على الحديث حين ينبغى وحين لا ينبغى ، أو قوة الحجة فى مجال الحق أو مجال الباطل على حد سواء .

فقد اتضح إذن بعد هذا العرض السريع أن لا سبيل إلى الوقوف على حقيقة الفلسفة من تعريفاتها ، كما أنه لا سبيل إلى حقيقة المرء من بطاقته ، أو الكتاب من عنوانه . وإن ثم التعريف

(١) (فيدون) من محاورات أفلاطون .

من أمر ما ، فمن اتجاه صاحبه العقلي أو نظريته الفلسفية أو شعوره نحو النهج الفلسفي منكراً كان أو مؤيداً .

النهج الفلسفي :

إن تعريف الفلسفة قد يوهم القارئ أنها مجرد علم من العلوم ، ابتدأه أو ابتدعه ذلك النفر من الحكماء ، وتعاون على إقامته وتطوره أجيال الفلاسفة ؛ في حين أن الحقيقة التي تخفى على الكثيرين من طلاب الفلسفة المبتدئين ، أن الفلسفة أسلوب من أساليب التفكير البشري ، وناحية من نواحي النشاط الفكري . فالإنسان المنطوي على طلب المعرفة ، المطبوع على تفسير الظواهر ، الملهوف على تلمس العلل والأسباب والغايات كما ينهج النهج الخرافي في تفكيره ، قادر إذا ما بلغ طوراً من التقدم العقلي أرقى ، وإذا ما تهيأت له ظروف مادية خاصة ، على أن ينهج نهجاً فلسفياً . بل إن بذور التفكير الفلسفي لتبرز في طفولة المرء وفي طفولة البشرية . وقد انتهيت في مقال سابق من الرسالة[1] بعد استعراض أمثلة من الشرق القديم إلى أن الخرافة أو الأسطورة وإن كانت تطبع التفكير الشرقي القديم ، فإن الفلسفة كانت تطل برأسها بين الفينة والفينة ، وفي ذلك الخيط من ظلام الفكر حيث تتراقص المردة والأشباح والشياطين التي تراها عين الخيال وتذكيها العاطفة والهوى ، كانت تنبثق أحياناً بروق فلسفية ومحاولات لتفسير الأمور تفسيراً عقلياً ، فتتألق الأشباح وتبدد الخرافات إلى حين .

وأضيف إلى ذلك أن الفلسفة كثيراً ما كانت تبلغ الأوج دون أن تبدد الأشباح تبديداً تاما . وكثيراً ما ألمت بها نكسات لا يزال التاريخ يذكرها فقد أعقب العصر الذهبي للفلسفة اليونانية إبان القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد ذبول هو ارتداد إلى الفكر الشرقي القديم من حيث الامتزاج بالدين والاقتصار على مباحث الأخلاق والميل إلى التصوف ، وما التصوف في حقيقة الأمر إلا نوع من الإعراض عن المنطق العقلي الذي يستند إلى الدليل والبرهان ، والاكتفاء باليقين القلبي والإيمان . وفي عام ٥٢٩ بعد الميلاد أغلق الامبراطور جستنيانوس مدارس الفلسفة في أثينا ، وكانت قد أقفرت من التلاميذ ، وتناقص عدد العلماء فيها وخرج الفكر الفلسفي في اليونان ليذكر في الشرق ، في ربوع فارس حيث كسرى أنوشروان ، صديق الفلسفة الذي فتح ذراعيه للنازحين من ربوع الاضطهاد الفكري .

(البقية في العدد القادم) عبد المنعم عبد العزيز المليجي

(١) التفكير الخرافي في العدد ٨١٠ من الرسالة .

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

- ٢ -

العدوان الإيطالي :

١٥ — في أكتوبر عام ١٩١١ رُوّع العالم الإسلامي والعربي بخبر اعتداء صارخ قامت به إيطاليا على القطر الطرابلسي بغير إعلان حرب وبدون مسوغ . ولم يكن هناك نزاع أو ما يشبه النزاع ، بل كان هناك أمن وسلام . ولم يعلم الناس بأمر مفاوضة انقطعت أو أمر اختلاف على مبدأ أو رأي أو قاعدة مما تختلف عليه الأمم والشعوب فيتخذ ذريعة للحرب ، بل لم يسمعوا بشيء أو بعض الشيء مما يحضر الأذهان لمثل هذا العدوان وينبه الغافل لقدمه .

١٦ — وإنما سيرت إيطاليا بوارجها وجحافلها واستيقظ أهل المدن طرابلس وبني غازي ودرنة الآمنة ، على أصوات المدافع ، تقذف عليهم الحمم والموت في عقر دارهم . فيالله من يوم كنا صغاراً لا نعقل من الأمر شيئاً ، ولكننا لمسنا الألم والأسى ، مرتسمين على وجوه الآباء والأهل والعشيرة والجيران فحزنت قلوبنا لحزنهم وتألمنا لآلامهم .

كنا صغاراً نلعب ونلهو — فتركنا اللهو وقاطعنا اللعب وشعر كل منا بأن ساعة فاصلة قد دقت في حياته . نعم كان وقع الاعتداء شاملا وكان الجرح عميقاً ليس من الجراح التي تبرأ وتلتئم وتنسى مع الزمن .

وسرت بين الناس موجة دافقة ، من تلك الموجات التي تملأ النفوس والمشاعر ، وتخفق لها القلوب ، وارتجت مصر من أقصاها ، فمن كتب عليهم القتال من المجاهدين قاتلوا وقتلوا ، ومن لم يقدر على تحمله جاد بالمال عن نفسه وبنيه .

وأتى أنور ومعه حفنة ممن باعوا أنفسهم في سبيل الله ، وصمد عرب طرابلس وعرب برقة وعلى رأسهم السيد أحمد السنوسي ليكتبوا بدمائهم ملحمة من ملاحم اللثمين والموحدين في دفاعهم وجهادهم واستماتتهم عن أرض أندلس فواجهوا الموت وعاينوا الهزيمة ، كما لاح لهم الظفر والمجد ، وقاتلوا وانتصروا واستشهدوا ، وامتلأت أيديهم بالعتاد والسلاح وأسرى العدو .

١٧ — وفجأة خفتت أصوات المدافع وعادت السيوف إلى أغمادها وسادت فترة هدوء على الجبهة . نعم لقد قامت حرب أشد هولاً ، هي حرب البلقان واتجهت الأنظار لمعارك في جبهة مقدونيا حيث تعرض ثلاثة ملايين من المسلمين للهجوم والتشتيت وتساءل الناس عن المصير .

أما مقدونيا فرثاها شوقي بقوله .

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام

وأما ليبيا وبرقة فقد استحوذ عليهما الطليان ورثى قائل بشعر قديم[1] فقال :

أحقاً خبا من جو رندة نورها
وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت منازلها ذات العلا وقصورها
ترى للأسى أعلامها وهي خشع ومنبرها مستعبد وسريرها
ومأمومها ساهي الحجى وإمامها وزائرها في مأتم ومزورها

كلا لم تدم تلك المحنة طويلا إذ قامت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ ودخلت إيطاليا الحرب ، فارتجت البلاد فعادت إلى الجهاد وبدأت ملحمة جديدة من تلك الملاحم الخالدة في تاريخ العروبة التي تقاتل فيها فئة صغيرة فئة كبيرة — فيأتيها النصر من عند الله .

١٨ — لقد فرحت مصر وفرحنا بمعارك درنه وعين زارة[2] وغيرها من التي منّ الله بها على المجاهدين والمرابطين وذوي البأس في قتال الطليان وكان ذلك في عامي ١٩١١ — ١٩١٢ . أما أيام الحرب العظمى فقد سار المجاهدون فيها من نصر إلى نصر ، بل كان يوم يمر يأتي إليهم نصر جديد من عند الله ، ولم تمض

(١) من مراثي الأندلس ومن نظم أبي جعفر من خاتمة في حوالي سنة ٩٠٤ هجرية أوردها الأمير شكيب أرسلان في كتابه (الحلل السندسية) .

(٢) تبعد ١٦٠ كيلو متراً من مدينة طرابلس وهي واحة .

١٩١٥ إلا وقد زحزحوا الطليان من برقة واستعادوا فزان ، واقتحموا حصونهم ومعاقلهم واحدا بعد الآخر ، واستحوذوا على أسلحتهم وسياراتهم وأسروا كتائبهم المرتزقة من سود وحبش وغيرهم ، ساقوهم بأسلحة الطليان لقتال الطليان وتلك والله مقدرة لأهل برقة وليبيا .

وتعقبوا المهزمين وسدوا عليهم المنافذ والطرق . وفى يوم أصبحت العاصمة تحت أزيز رصاصهم وغدا الساحل تحت سيطرتهم فأتتهم المؤن والذخائر من حيث شاءوا .

فهل رأيت دفعة كهذه الدفعة أوتوة من المستضعفين ملأها الإيمان والثقة فى النفس والدعوة إلى الحق والقتال فى سبيل الله عملت فى القرن العشرين عملا يشبه هذا ؟ إنها نزام الله وقمة رائعة .

١٩ — وانتهت الحرب العظمى الأولى ١٩١٨ وتدخل الإنجليز بين الطليان وأهالى البلاد فاعترفوا بنظام ليبيا وصراحة وأقروا أمارة برقة ووقعوا المعاهدتين وضمنوا استقلال الداخل وخيل للناس أن عهداً من الطمأنينة والأمن قد أشرق .

وفى يوم من الأيام إذ موسوليني يضرب بجواشق إيطاليا وضماناتها عرض الحائط وحنث بالإيمان المأخوذة وأثار حرباً ضروساً مهلكاً يحاول بأساليبها إبادة شعب بأسره . كانت تعليماته وأوامره وقراراته واضحة لا شبهة فيها فليراجعها من يشاء يجدها فى كتبهم وما نشره قوادهم .

وكان كبش الفداء شعب ليبيا .

٢٠ — قابل هذا الشعب ، صدمة الخيانة بشجاعة نادرة . رأى الحرب تفرض عليه فى دياره ، فواجهها كما يواجهها كل مقاتل كريم كتبت عليه التضحية تقدم بنيه وأحفاده . ضيق عليه الخناق بحصار من البر والبحر ، فتحمل وصبر . أوذى فى حريته ومعاشه وماله ودكت بيوته ، ولكن لم ينزل على حكم ظالميه ، ولا تراجع عن مبدأ من مبادئه .

واتبعت إيطاليا سياسة العنف والتشريد ، فلم ترع شيخاً ولا مقعداً ولا طفلاً ولا رضيعاً وخربت المنازل وأفنت قبائل وحولت بقاعاً عامرة جعلتها صعيداً جرزاً .

٢١ — هذا هو الشعب الأبى الكريم الذى حررته الديمقراطية فى الحرب الأخيرة واتخذت من اسمه عنواناً ومثلا لتحرير الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها . والتى بحثت من أفراده ورجاله المتطوعة ، وحاربت بهم ، وقالت للعالم هأنذا قد أرجعت الحق لأهله ، وأنقذت أول شعب وقع العدوان عليه وأزلت أثر الظلم والطغيان من عاتقيه .

وترقب أهل البلاد نعمة الخلاص ، وباتوا يطلون الآمال ، فماذا يراد بهم اليوم ؟ إننا لنسمع الكثير من اللغط . فمن قائل بعودة هذه الأرض البائسة إلى سادتها الطليان ، وآخر يقول بانتداب الغير عليهم كأن هذه البلاد خلو من السكان !

٢٢ — أنه ليهمنا نحن معاشر الأمم العربية ، شأن برقة وليبيا ، ويهمنا شعب هذه البلاد . لماذا ؟ لأننا منه وهو منا . إنها لصلات الدم والقربى والثقافة والتاريخ الحى ، لا التاريخ المتحجر الجامد ، ثم ما يوجبه هذا التاريخ المشترك من ذكريات الجهاد والنصر والهزيمة .

إننا نعبر عن رأيه ونقول ، هذا الشعب لا يريد شيئاً مستغرباً أو فوق متناول الإنسان ، وأنه يريد أن ينعم بحدوده وبلاده واستقلاله وحريته . إنه يطلب كياناً تحت الشمس شأنه شأن بقية الشعوب الصغيرة .

فهل تجاب دعوته ؟ وهل يجد لتضحياته حساباً ، وهل يعترف بجهوده ؟ أم ستعرض بلاده للبتر والتقسيم ، ويوضع مصيره وحريته ليضارب بها فى سوق توزيع مناطق النفوذ ؟!

٢٣ — كان عدد سكان ليبيا وبرقة العرب فى مستهل عام ١٩١٠ أكثر من مليون نسمة ؛ وقد هبط هذا العدد إلى أقل من النصف ، على أثر سياسة التشريد التى اتبعتها الحكومة الفاشستية فكأن هذا الشعب قد بذل من الأنفس والأرواح دفاعاً عن كيانه واستقلاله ما لم يبذله الشعب الإيطالى طوال قرن من الزمن ثمناً لتحرره ! فهل رأيتم شعباً يضحى بنصف عدده فى سبيل مثله العليا ؟.

هذا هو الشعب العربى فى ليبيا وبرقة الذى ينتظر أن يكتب الناس تاريخ جهاده فى الفترة بين حربين عالميتين .

والآن أعود بحضراتكم إلى نهاية عام ١٩١٤ أى بعد إعلان الحرب الأولى فى الأشهر التى كانت فيها إيطاليا على الحياد .

(يتبع) أحمد رمزى

(ملحوظة) : سبق للرسالة أن نشرت مقالا عن ليبيا بقلم أحمد رمزى ولعل استطان به فى محاضرته هذه .

طرائف:

في الأدب والتاريخ والسياسة

« دار الحقوق إلى خاما الجني »

للأستاذ محمد حسين الفار

أثار بنفسي انتخاب دولة خطيب الثورة الوطنية الأستاذ الزعيم إبراهيم عبد الهادي باشا رئيساً للهيأة السعدية الموقرة على أعقاب استشهاد زعيم النزاهة المنيف السيوف الأبي الشريف النقراشي باشا عليه الرحمة والرضوان.

أثار بنفسي هذا الانتخاب ذكريات كريمة قديمة برغم ما أعانيه الآن من ظروف ملتوية، وأوقات عاتية، إذ عاد بذا كرتي إلى سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف، حينما كان الزعيم الجليل المغفور له سعد زغلول باشا في دست الحكم واستصدر عفواً عن الرعيل الأول من المجاهدين الأحرار الذين كانوا بأكورة من حكم عليهم بالإعدام في سبيل البلاد، واستبدل بعد بالإعدام السجن مدداً متفاوتة، وكان بمكان الرياسة منهم المرحوم المبرور رجل الوطنية الصامتة عبد الرحمن بك فهمي طيب الله ثراه، كما كان أبرزهم مكاناً وأنبههم شأناً خطيب الشباب الوثوب إبراهيم أفندي عبد الهادي الطالب بالسنة الرابعة بمدرسة الحقوق السلطانية إذ ذاك.

خرج هذا الرعيل الأول من السجن على أثر استصدار العفو الملهاراً أبراراً، فاحتفت بهم مصر حكومة وشعباً، واحتشد لهم المصريون زرافات وأفراداً، وأقيمت لهم حفلة تكريم كبرى عرفت بحفلة تكريم المسجونين السياسيين، وألقيت فيها خريدة شوقية خالدة عرّج فيها أمير الشعراء أحمد شوقي بك الشاعر الخالد نضر الله نُزُله على فتى الحقوق الجني إبراهيم أفندي عبد الهادي، فقد اختصه بذكر اسمه في فريدته الشوقية دون سائر المسجونين المكرمين جميعاً.

ذلك أن الفتى الناهض إبراهيم عبد الهادي قد تقدم لترشيح نفسه، كما رشحته جدارته لرآسة لجنة شباب للقاهرة والأقاليم التنفيذية العليا، وتقدم منافساً له في تلك الرياسة حسن أفندي يسن النائب السابق والوفدي المعروف. ولكن الزعامة خطبت ود إبراهيم منذ فتائه، فقد اكتسح خصمه، وعما من قائمة انتخاب الرياسة اسمه ورسمه. وكان لمدرسة الحقوق في أمثال تلك المعارك الانتخابية بين الشبيبة المثقفة يد طولى وقدح مُعلّى، فوقف سوادها الأعظم، وجمهورها الأكرم، خلف إبراهيم خطيب الشباب المرهوب.

فأشاد بذلك أمير الشعراء وشدا، وفرد البلبل الصيداح، فأسر الأفئدة، ونقع الصدى بسلسله العذب ودُرّه الفريد الذي يفنى الزمان ولا يفنى، ويبيد الدهر ولا يبيد.

وذلك في قصيده الرائع الذي توّج به هامة حفل التكريم، والذي كان مطلعه ذلك الغزل الرقيق الذي بلغ منتهى العذوبة وغاية الطلاوة والرواء:

بأبي وروحي الناعمات الغيدا ... الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرانيات بكل أحور فاتر ... يذر الخلي من القلوب عميدا
الراويات من السُّلاف محاجراً ... الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائرا ... الراتعات مع النسيم قدودا
أقبلن في ذهب الأصيل ووشيه ... ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا
يحدجن بالحدق الحواسد دُمية ... كظباء وجرة مقلتين وجيدا
حوت الجمال فلو ذهبت تزيدُها ... في الوهم حسناً ما استطعت مزيدا
لو مر بالولدان طيف جمالها ... في الخلد خروا ركعاً وسجودا
أشهى من العود المرنم منطقاً ... وألذ من أوتاره تغريدا

وهنا انتقل انتقالا رائعاً، وتخلص من الغزل إلى السياسة تخلصاً بارعاً، إذ قال:

لو كنت سعداً مطلق السجناء لم ... تطلق لساحر طرفها مصفودا
ما تصر الرؤساء عنه سعى له ... سعد فكان موفقاً ورشيدا

وهكذا سار أمير الشعراء كما عهده الناس يتدفق بياناً وسحراً، فنوه فيما ساقه لنا من روائع آياته وخوالد بيناته بفتى الشباب المرتجى في ذلك العهد إبراهيم عبد الهادي مشيراً إلى تبوئه مكان الزعامة من الشبيبة في بيتين من أوابد الشعر وبدائع القريض حافلين بالإشادة والثناء. ذلك إذ قال:

دار الحقوق إلى خاما الجني ... ثنت العنان وألقت الإقليدا

الكتب الموجـــزة

كأداة تعليم وتثقيف

للأستاذ إيليا حليم حنا

ما هي الكتب الموجزة ؟

أقصد بالكتب الموجزة الكتب التي تعطينا الفكرة الأساسية المتماسكة المشوقة عن الموضوع بشكل عام دون أن تخوض في دقائقه فتثير رغبتنا في الاستزادة ، فنجرى وراء التفاصيل في مصادر أخرى فتكون بذلك سلماً ووسيلة تشويق للالمام بالموضوع وحافزاً لقراءة الكتب المطولة الأصيلة .

وهذه الكتب هي الطريق إلى مدارك العامة وقلوبهم يجدون فيها غذاء لا يجهد الذهن في تلقفه ، لأنها لا تتناول الاصطلاحات الفنية والتفاصيل العلمية المعقدة . وهي لا تفيد العامة فقط ، فإنها ذات فائدة كبيرة للخاصة الذين يشغلهم موضـوع واحد قد لا يتسع وقتهم لغيره فتكون لهم في النواحي المختلفة الأخرى أداة تثقيف قيمة في نواح مغايرة .

ولا يقصد بهذه الكتب تلك الملخصات التي تعطى نتفاً من الموضوع من هنا وهناك دون تماسك وتشـويق من باب العلم بالموضوع فقط ، فإن هذه ضئيلة الأثر تكاد لا تثير الرغبة في القراءة ، لأن مادة هذه الملخصات أشبه بجسم معلق في الهواء لا يرتكز على حامل يحمله . وهذه الكتب التي لا تتناول الموضوع كوحدة متماسكة مشوقة هي العامل الأول الذى لا يجعل المتعلمين يقبلون على القراءة بعد تخرجهم في مدارسهم ومعاهدهم . وطالب العلم في مراحل دراسته المختلفة يركز الفكرة المبتورة على الحافظة والاستذكار ، وليس على التفكير السليم والرغبة ، فيعاني كثيراً في حفظ ووعي الملخصات المدرسية التي لا ترابط بينها ، ويحاول أن يبقيها بالتكرار ، ثم لا يلبث أن ينساها ، ثم يعود من أجل الامتحان فيستذكرها وهكذا ، وتكون النتيجة أخيراً أن ينفر من المواد التي درسها في المدرسة ، ولا يحاول أن يقرأ ما يمت إليها بصلة بعد أن ينتهي من مرحلته الدراسية ، لأن معلوماته كانت ملخصة تلخيصاً بعيداً من مبـدأ الكلية ، أى إدراك الشيء وتذوقه كوحدة حية قبل فحص طريقة تركيبه من أجزاء مختلفة . والشخص منا يرى الزهرة كلها فيجذبه منظرها وشكلها ، وإنما لو قدمت له أول مرة يراها فيها مشرحة إلى أجزاء لا تماسك بينها ولا اتساق ، فإنه لا يلبث أن يلقى بها ولا يرى فيها أى جاذبية . هكذا الملخصات التي لا يراعى فيها الناحية الكلية عند تقديمها تكون أشبه بأشلاء مبعثرة لا ترابط بينها ولا حياة فيها .

ودراسة الشيء كوحدة بأسلوب مبسط سهل يجعل هذه الوحدة نواة للتثقيف والاتساع في محيط هذا الشيء ، وأرى أن نبدأ بصورة كاملة عامة عن المادة بحيث نبرزها بما يشوق فيها في الكتب الملخصة أو الموجزة ، وهنا يجعلنا نسعى من تلقاء أنفسنا إلى الاستزادة منها ، فمثلا في بدء دراسة علم الفلك ، أو عند وضع كتاب موجز عنه أرى أن نبتعد عن القوانين الطبيعية ، ونعالج عجائب الكون معالجة مشوقة في هيئة قصة عن الأفلاك في مسالكها ، ونوضح بعض النجوم والكواكب التي ترى بالعين المجردة ووقت ظهورها ، ثم نذكر شيئاً مشوقاً عن النجم الذى تتأمل صفحة السماء فتراه . وأنا واثق أن هذا سيدفع من يقرأه إلى الاستزادة في كتب أصيلة مطولة . وفي التاريخ أيضاً بدلا من أن نتكلم عن الوقائع الحربية وأسبابها ونتائجها يجب أن نبدأ بحياة أحد الملوك كقصة ، ونبرز فيها النواحي المثيرة ، أو للنضال

عهدت لإبراهيم فانتخبت فتى ... ثبت الجنان على الزمان جليدا

هذا ما خلد به أمير الشعراء أحمد شوقي بك زعامة إبراهيم البكرة التي أهلته لها جدارته ، وقفزت به إليها كفاءته .

وبعد ، فلست أدرى ، ولا المنجم يدرى — كما يقولون — لم أسقط هذان البيتان من القصيدة الخالدة حين طبع الجزء الأول من ديوان الشوقيات ؟ !

ألعصبية الصارخة في ذلك العهد يد في هذا ؟ أم ماذا ؟ !

وهل من الأمانة للأدب أن نقبر بعض روائعه في لحود الإهمال وزوايا النسيان لأى غرض مهما يكن ؟ !

وقصارى الكلام نأمل أن يتدارك هذان البيتان الخالدان لدى الاضطلاع بأول طبعة في المستقبل لهذا الديوان أداء للأمانة وإنصافاً للناس ، فهذا شأن كل طاهر العنصر ، طيب الأرومة ، عريق الأساس ... والسلام على من اتبع الهدى .

محمد حسين القار
المدرس بالأزهر الشريف



الأرقام الفلكية

للأستاذ نقولا الحداد

في هذا الزمان متى كان عدد شيء يتجاوز المألوف قيل إنه يعد بالأرقام الفلكية . في حرب روسيا مع اليابان في أوائل هذا القرن كان ربع مليون ياباني مقابل ربع مليون روسي ، فقيل هذا عدد من الجيوش لم يسبق له مثيل ، حتى إذا زاد عدد الجيوش على هذا القدر قالوا هي أرقام فلكية .

وصار عدد الجيوش في الحرب الأخيرة يعد بالملايين فلا بدع أن يوصف بالأرقام الفلكية . ولما كانت أمريكا تنفق فيها كل يوم ٦٤ مليون ريال ، وإنجلترا تنفق ١٤ مليون جنيه ، قالوا هذه أرقام فلكية ، وكذلك قيل لما خسرت روسيا في الحرب عشرين مليون جندي ذلك لأن في علم الفلك أرقاماً لا يكاد يتصورها العقل ولاسيما أرقام الأبعاد والمسافات بين النجوم والكوكبات فلم يعودوا يحسبون هذه الأبعاد بالكيلومترات أو بالأميال ، بل صاروا يحسبونها بمقدار سرعة النور . فما يقطعه النور في ساعة أو يوم أو سنة صاروا يحسبونه مقياساً على اعتبار أن النور يقطع في الثانية مسافة ٣٠٠ ألف كيلومتر أو ١٨٦ ألف ميل . فالأرض تبعد عن الشمس ٨ دقائق بهذا القياس . فلنرما هي أبعاد الأجرام الفلكية وكيف تحسب . ولنبتدئ بأقربها للأرض ، ثم نتقدم صعداً إلى أن يحار العقل في الأرقام والأبعاد .

القمر أقرب جرم إلى الأرض وهو مولودها ، يبعد عنها نحو ٢٣٩ ألف ميل . ولما كان محيط الأرض نحو ٢٥ ألف ميل كان أنه إذا تدحرجت الأرض نحو القمر تقبل أن تتم العشر قلبات تصل إلى القمر . ولو أمكننا أن نقطع الأرض قطعاً كل قطعة بقدر القمر لأمكننا أن نفصل من الأرض ٤٩ قمراً .

والشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون مليون ، فلو تدحرجت

الجودة والعادات والتقاليد والأساطير ، ونترك النواحي المفصلة من أسباب ونتائج وتواريخ لمن تشوقه المادة ويريد التوسع فيها ، لأن هذه الدقائق والحقائق الجافة تنفر القارئ الذي لم يتذوق الموضوع ، ولم يعرف عنه شيئاً كلياً مجملا من قبل .

٢ — مزايا الكتب الموجزة :

١ — هذه الكتب بذرة ثقافية تنمو وتكبر وتمهد للدراسات الدقيقة والشرح التحليلي في الكتب الأصلية .

٢ — ترشدنا إلى ما يمكن أن نتذوقه من أنواع المعارف المختلفة ، ولا تستغرق منا وقتاً طويلا نندم على ضياعه إن لم نتذوق ما نقرأه ، وبوساطتها نعتمد على أنفسنا في اختيار الغذاء الثقافي الذي نهضمه ، لأن مثل هذه الكتب تقرأ للتذوق وللبحث عن الكتب الطويلة الأصلية في الموضوعات الملخصة التي فازت بإعجابنا وأثارت رغبتنا .

٣ — تساعدنا على متابعة التيار الثقافي في النواحي التي لم نخصص لها كل اهتمامنا وجهودنا ، والتي لا يلذ لنا أن نخوض في تفاصيلها ؛ والحقيقة أنه لولا الالتجاء إلى ملخصات الكتب والمقالات الأصلية ، لأصبح من المستحيل أن نلاحق السيل المنهمر من ثمرات المطابع .

٤ — أثبتت التجارب أن متوسط ما يستوعبه الطالب في الدقيقة من المادة الملخصة بالطريقة الكلية ضعفان ونصف ضعف ما يستوعبه من المادة الأصلية المفصلة .

٥ — تربي الكتب الموجزة في الشخص الميل إلى القراءة ، لأنها لا تثقل على طبع السواد الأعظم من جمهرة القراء لبعدها عن التفاصيل الفنية التي لا يهضمها القارئ العادي ، كما أنها لا تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير لتركيز وحصر الذهن والانتباه

٦ — صغيرة الحجم مريحة في استعمالها يمكن أن تلازم جيب القارئ في أسفاره ، كما أنها تحتل مكاناً صغيراً في المكتبة علاوة على رخص ثمنها الذي يجعلها في متناول الجميع .

(الأبيض — سودان) إيليا حليم حنا
دبلوم عال في التربية — دبلوم صحافة
مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب بمدرسة النهضة الوسطى

الأرض نحو الشمس لقلبت على نفسها نحو ٣٦٥ قلبة تقريباً قبل أن تصل إليها . ولكن يجب أن نخرج نحن منها قبل أن تترعرع تتسرج ، لأن حرارة الشمس تحرقنا عند أول قلبة تقلبها الأرض . ومتى وصلت الأرض إلى الشمس صهرتها حرارة الشمس التي تبلغ عند سطحها ٦ آلاف درجة بمقياس سنتغراد . وإذا سقطت الأرض المصهورة أو المتبخرة إلى باطن الأرض حيث الحرارة ٤٠ مليون درجة سنتغراد امتزجت أبخرة الأرض بأبخرة الشمس .

قلنا إن النور يسير بسرعة ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية فهو كسرعة الصوت مليون مرة . ويمكننا أن نفصل من الشمس مليونا وثلثمائة ألف أرض . ولو وضعت الأرض في مركز الشمس ومعها القمر على بعده المعلوم من الأرض لبقي القمر يبعد عن سطح الشمس بقدرما يبعد من الأرض ، لأن نصف قطر الشمس ٤٣٢٠٠٠ ميل في حين أن بعد القمر من الأرض ٢٣٩٠٠٠ ميل

حول الشمس ٩ كواكب (سيارات) أقربها إليها عطارد . وهو يبعد عنها نحو ٣٦ مليون ميل ، وأبعدها السيار بلوتو وهو يبعد من الشمس نحو ٤ ساعات نور . ولكن متى بعدنا من نظامنا الشمسي بسرعة النور فبعد ٤ سنين و ٦٥ يوماً نصل إلى أقرب نجم إلينا إذا جعلنا وجهتنا إليه . والنجم المسمى قنطوروس أو Alpha Centoros والنجوم لا تقرب إلى بعضها أكثر من هذه المسافة .

بعض الأحيان نرى أمام الهلال نجمة كأنه يحتضنها ، هي كوكب الزهرة ، ولكنها تبعد عنه نحو ٢٦ مليون ميل ، وهي أكبر منه بنحو ٤٥ مرة

ولا يخفى عليك أننا لا نزال في جوار الشمس ، وما بعدنا منها أكثر من ٤ سنين وخمس السنة إذا سرنا بسرعة النور . أنظر كم في السماء من نجوم نهى لا تكاد تحصى ، ولا نرى منها إلا القليل ، الهم إلا بالقراب (التلسكوب) وهذه النجوم تتباعد بعضها من بعض بمثل بعد قنطوروس من الشمس تقريباً .

أبعد مسافة استطاع أقوى تلسكوب أن يكتشفها هي مسافة ٥٠ مليون سنة نورية .

النجوم التي نراها بالرقب (التلسكوب) في أثناء الأربع وعشرين ساعة ضمن نطاق درب التبان الذي يسميه الإفرنج الدرب اللبني تبلغ نحو ٣٠٠ ألف مليون نجم تقريباً . وهذه المجموعة الهائلة من النجوم تسمى « المجرة » . وشمسنا مع كواكبها تقع في الثلث

الأول بعد مركز المجرة . وجميع هذه النجوم أو الشموس تدور حول المركز وأسرعها أقربها إليه ، وأبطؤها أبعدها عنه والشمس تقضي ٢٥ مليون سنة لكي تتم دورتها حوله . وقطر محيط هذه المجرة نحو ٠٠٠ و ١٥٠ سنة نور ، وسمكها نحو ٢٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠٠ سنة نور . وإذا جمعت جميع هذه النجوم معاً كانت كتلتها ١٦٠٠٠٠ مليون مرة ككتلة الشمس . وذلك نحو ٥٢ أمامها ٢٧ صفراً من الأطنان .

هذه النجوم أو الشموس التي تعد بالملايين تختلف في الحجم اختلافاً كبيراً . وشمسنا من الحجم الذي هو دون الوسط . والجوزاء السماة Betelgius كبيرة جداً بحيث لو وضعت في مركز الشمس لغطت جميع فلك الأرض ، أي للأت الرحبة التي تدور الأرض فيها حول الشمس وزادت عليها . بمعنى أن قطرها يزيد على ٢٧٢ مليون ميل وهي تبعد عنا نحو ٣٠ سنة نورية . وتعد من كوكبة الجبار Osion وهي أسطع الكوكبات في السماء

ومعظم النجوم جماعات جماعات ، كأنها أسراب متضامنة وتسمى كوكبات . وبعضها مجموعة نجوم وبعضها تعد بعشرات الألوف ومئاتها . وكل كوكبة منظومة قائمة بنفسها وتدور على نفسها . وفي الوقت نفسه تدور مع سائر الكوكبات الأخرى والنجوم حول مركز المجرة العظيمة .

نحن إلى هنا ما زلنا في نطاق المجرة فإذا خرجنا منها يجب أن نطوف على بعد مليون سنة بسرعة النور من حول مركز المجرة من جميع النواحي ، فنشرع نصطدم بمجرات أخرى مثل مجرتنا وهي مبتعدة بعضها من بعض كبعدها من مجرتنا ، ونظام كل منها كنظام مجرتنا ولكنها تختلف حجماً اختلافاً قليلاً .

وإلى الآن أمكن العلماء أن يكتشفوا نحو ٣٠ مليون مجرة . وقد يمكن أن يكتشفوا غيرها متى نصب مرصد كاليفورنيا العظيم الذي تبلغ قوته أربعة أضعاف قوة مرصد جبل ويلسن الذي هو أعظم مرصد إلى الآن . ولما كان النور الذي يرد من أي نجم إلى الوشور (أي الطياف الذي يحل النور إلى ألوانه السبعة) يدل على أن النجم يبتعد عنا إن كان طيفه يدنو من الأحمر ، ويقترب إلينا إن كان يدنو من البنفسجي ، فقد رئي أن طيوف المجرات والأجرام تدنو من الأحمر (ما عدا بعضها لأسباب لا محل لتفسيرها هنا) وهو أمر يدل على أن الأجرام تتباعد بعضها من بعض ومقدار الانحراف أو الابتعاد يدل على مقدار سرعتها .

ومعنى ذلك أن الكرة الكونية الشاملة جميع العوالم تنتفخ وتتسع . والمتطرفة منها تبتعد بأسرع من القريبة الوسط . وعلى بعد ١٣٥ مليون سنة نورية تبلغ سرعتها ١٤٫٣٠٠ ميل في الثانية ومتى صارت السرعة (على بعد آخر) كسرعة النور أي ٣٠٠٠٠٠ ميل فلا يعود أعظم المراصد يرى ذلك الجرم الذي فاقت سرعته سرعة النور مهما بلغت قوته .

وبحسب رأى ادنغتون أن حجم الكون الأعظم يتضاعف كل ١٣٠٠ مليون سنة . فإذا صحت نظريته فالكون كان أصغر جداً مما هو الآن . وعلى حسابه فالكون ابتدأ منذ ٩٠٠٠٠ مليون سنة (قبل الخليقة أي قبل ٤٠٠٤ سنة ميلادية) . وماذا كان قبل أن ابتدأ هذا الكون ؟؟

وفي رأى نجابيس تجينز . ابتدأ الكون مجموعة فوتونات أي ذرات ايثر كانت مالئة الحيز الكوني . ثم مدّ الله تعالى أصبعه لحرك هذا البحر الفوتوني فجعلت الفوتونات تتجمع الكترونات فبروتونات فذرات فجزئيات فأجسام فأجرام فعوالم فأكوان . وبعد أن تشع كل ما فيها من حرارة تتقلص وتعود تبتدئ أن تتمدد من جديد وتعود إلى سيرتها الأولى . وهكذا دواليك من الأزل وإلى الأبد بلا بداية ولا نهاية . واللانهاية واللابداية ملك الله . فلا يمكن الإنسان أن يحصيهما بقاصر عقله .

وفي رأى علماء آخرين أن محيط مجموعة المجرات التي هي كرة الكون الأعظم (وخصوصاً في رأى اينشطين) نحو ٦٠٠٠ مليون سنة نور . وهي ذات قدر محدود أي معين لا يزيد ولا ينقص . فبحسب حساب اينشطين أن الكون مؤلف من ألكترونات تبلغ نحو ٦ أمامها ٧٢ صفراً (6×10^{72}) وهي ضمن نطاق ٦٠٠٠ مليون سنة نور كما تقدم .

وبعد هذا النطاق لا توجد أجرام مادية وإلا شعرنا بوجودها بواسطة مراصدنا ومن بعد إشعاعاتها إن كانت من طبيعة كوننا الأعظم هذا . أما إذا كان ثمت بعد ذلك عوالم أخرى ليست مادية أو ليست من طبيعة كوننا هذا فليس لنا أن نقول بها ما دام ليس لنا دليل حسي على وجود شيء آخر . وأما أن نفرض فروضاً ونقول قد يمكن أن يوجد عالم آخر يختلف عن عالمنا فليس من منطق يبرر هذا الفرض . وإلا يمكننا أن نفرض ألوف الفروض ويكون الكلام ثمت لغواً .

وقد نسأل : إذا كان لهذا الكون نطاق واسع يحده محيط قدره ٦٠٠٠ مليون سنة نور فإذا وراء هذا النطاق ؟ هنا يقف العقل حائراً لأنه لا يستطيع أن يتصور الحدود التي لا وراءه شيء — لا يستطيع أن يتصور النهاية التي لا شيء وراءها كما أنه لا يستطيع أن يتصور اللابداية . هنا يتدفق جهل الإنسان المطبق مهما تعمّق في العلوم ، وتبحر في الفلسفة ، وتوسع في اكتشاف أسرار الكون . هنا يقف العقل حائراً .

قد يفهم العقل ما بقي من أسرار الكون وهو أكثر جداً مما عرفه ولكنه لا يمكن أن يفهم اللامتناهي واللامحدود . إن هذا العقل البشري الصغير الذي هو ذرة في الكون ولا يقاس بشيء أمام عظمة الكون . قد أدرك عظمة الكون وشمله كله بعلمه . فهو على حقارته أعظم من هذا الكون إذ استطاع أن يحتويه في عقله . فما أصدق قول أبي العلاء المعري فيه .

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة — نقولا الحداد

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

— بين نيتشه وفاجنر أو بين الخيال والواقع :

تطوع الأستاذ الشاعر محمد فهمى لينتصف لصديقه الأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، ويخيل إليه — وما أخصب خيال الشعراء — أنه قد انتصف له !

أول شيء أسجله للأستاذ محمد فهمى أنه رجل طيب ، والدليل على أنه رجل طيب هو أن كل دليل استند إليه لا يغير شيئاً من جوهر الحقيقة التي يقررها ميزان النقد ؛ النقد الذى يقف من النصوص موقف التأمل والناقشة ، ويقف من التاريخ موقف التمحيص والمراجعة .

لقد قلت إن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيه موسيقى فنان من قلم فيلسوف ، وأوردت مما قاله الفيلسوف فى الفنان قليلا من كثير ، ووافقنى الأستاذ فهمى على ما قلت ، ولكنه عاد ليذكرنى بأن هذه الموسيقى قد لقيت أيضاً من قلم نيتشه أسمى آيات المديح ... أنا والله أعلم هذا يا أستاذ ولكن علمى يختلف عن علمك ؛ يختلف عنه بقدر ما تختلف عقلية ناقد عن عقلية شاعر !

يا قراء « الرسالة » تعالوا نسلط الضوء على الدليل الفذ الذى أورده الأستاذ فهمى فى مجال الانتصاف لصديقه ، إنه رسالة ... رسالة من نيتشه إلى فاجنر بمناسبة أول كتاب أخرجه وأهداه إليه ، تلك التى يقول له فيها : « لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » إلى هنا ونقف قليلا لنتهم الأستاذ فهمى بتشويه الترجمة فى سبيل تأييد رأيه ! إن الكلمات التالية لهذه الترجمة العربية المشوهة هى :

May this work in some slight degree repay the extraordinary interest you have shown in its genesis. إن التشويه هنا متركز فى عبارة : « رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » لقد ترجم الأستاذ « you have shown » بكلمة « أوليتنيها » تكلموا يا من تعرفون الانجليزية . وترجم « in its genesis » بكلمة « فى خلقه » ، تكلموا يا من تعرفون فن الترجمة ! تكلموا لتقولوا إن المقابلة الصادقة لكلمات نيتشه تتمثل فى هذه الترجمة : « لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، جزاء لما أبديت من اهتمام بالغ فى أثناء إخراجه » ! ... يريد نيتشه أن يقول لفاجنر إنك أظهرت نحوى كثيراً من الاهتمام والعطف بمناسبة أول كتاب ألفته ، وإنى لآمل أن يجزيك إهداؤه إليك أجر ما أظهرت من كريم العاطفة نحو مؤلفه ! ولكن الأستاذ فهمى يريد أن « يجبر » نيتشه على القول بأن كتابه مدين بخلقه لفاجنر !

هذه ملاحظة على هامش المشكلة نعود بعدها إلى جوهر المشكلة ... هل يعلم الأستاذ فهمى فى أية سن اتصل نيتشه بفاجنر ، وفى أية سن بعث إليه بهذه الرسالة المرفقة بكتابه الذى أهداه إليه ؟ لو علم لبحث عن دليل آخر غير هذا الدليل المتهافت الذى أورده فى كثير من الزهو والثقة والاعتداد ! لقد اتصل نيتشه بفاجنر فى سن الخامسة والعشرين ، وألف كتابه الأول وأهداه إليه فى سن الثامنة والعشرين ، وفى هذا الوقت كان فاجنر فى التاسعة والخمسين من عمره ... شاب ناشئ يخطو أول خطوة فى طريق مجد يتطلع إليه ، وشيخ قطع طريق المجد كله حتى بلغ منتهاه . وهنا نرفع معول التحطيم لنهوى به فى « رفق » على الدليل الفذ الذى يرمى به الأستاذ فهمى ويعتد ! شاب ناشئ يتملق أستاذاً فى الموسيقى طبقت شهرته الآفاق ليمهد له طريق الشهرة والظهور ، ولا بد — شأن كل ناشئ يعيش فى رحاب أستاذ كبير — من التملق والمجاملة فى سبيل الوصول إلى تحقيق أمانيه ... هذه هى الحقيقة التى يقررها الواقع ويقررها رومان رولان فى كتابه « L'histoire de la musique » (ص ٦٣) ولعل الأستاذ يوافقنى على أن كلمات يمليها التملق فى السن المبكرة ، غير

كانت عليها الإيمان والثقة والفكر الناضج في السن المتأخرة ايقول نيتشه لفاجنر في سن الثامنة والعشرين : إنك موسيقي عظيم أشمر بزهو لا يحد حين يقترن اسمي باسمه إلى الأبد ، ويقول له في سن الخمسين : إنك رجل منحل ، متلف هدام ، لا تهز بموسيقاك المريضة إلا أعصاب النساء ... بأي القولين نثق وبأي القولين نؤمن ؟ . أبقول الفتى الناشيء المتملق الذي لا تعينه سنه على وزن الفن بميزان الملكة الناضجة ، أم بقول الفيلسوف العبقري الذي نطق بكلماته الأخيرة في وقت كان يطلق عليه فيه سيد المفكرين ؟ ... إننا نهمل كلمات الجاملة التي نطق بها الفتى الناشيء ليصل من طريقها إلى مجد يتطلع إليه ؛ نهملها ولا نقيم لها وزناً على الإطلاق ، ولا نثق إلا بتلك الكلمات الأخرى التي نطق بها الفيلسوف العظيم في أوج نضجه الفكري واستقامة موازينه وفهمه لحقائق الأمور ، نثق بها لأن نيتشه يقول لنا بصراحة : « إن رأيي الأول في فاجنر قد غيرته السن ، أما رأيي الأخير فلن تغيره الأيام » نفس المصدر « L'histoire de la musique » (ص ٦٨) ... إن بعض الآيات في القرآن الكريم يا أستاذ قد نسخت أحكامها أحكام آيات أخرى ، فلم لا تنسخ أحكام نيتشه الأخيرة أحكامه الأولى ، وتلغيها ، وتدفع بها إلى زوايا الإهمال والنسيان ؟!

من هنا يا أستاذ فهمي أصدرت حكمي على هذا الرأي الذي نادى به صديقك ووافقته أنت عليه ، حين يقول إن موسيقي فاجنر قد فتقت أكمام العبقرية في نيتشه ! لقد ولد نيتشه يا صديقي وفي دمه بذور عبقرية موهوبة ، ولو قدر له ألا يرى فاجنر لما تبخرت من نبع فكره الخلاق قطرة واحدة من قطرات عبقريته ، وكل من يقول بغير هذا الرأي إنسان لا يحترم عقله ... متى كان إعجاب رجل بآخر ومديحه له دليلا على تفتيق أكمام العبقرية فيه ؟! إننا نستطيع أن نفرض المستحيل ، والمستحيل الذي نفرضه لنمضي مع الأستاذ فهمي إلى نهاية الشوط ، هو أن نيتشة قد أعجب بفاجنر وأن هذا الإعجاب قد ترتب عليه خلقه لعبقريته . إذا فرضنا هذا وحلقنا في أفق الشعراء والتقطنا النجوم ونثرناها درراً من الكلام ، وخرجنا من هذه الدرر بهذه الحقيقة الفذة ، فإننا نستطيع أيضاً بهذا الميزان الذي يقام على أجنحة الخيال أن نقول إن موسيقي بتهوفن قد فتقت أكمام العبقرية في جيته ! ألم يكن جيته يعجب بموسيقي بتهوفن ، ويقدسها ، ولا يعدل بها موسيقي فنان آخر ؟ لا بأس على الإطلاق من أن نملي على الملأ هذه الحقيقة التي تذوب خجلا من روعة هذا القياس !

بقي أن نرفع معول التدمير مرة أخرى لنهوي به في « رفق » على آخر دليل أورده الأستاذ فهمي ، وهو أن نيتشة قد صب نقمته على فاجنر حين أقصاه هذا من بيته وقطع صلته الغرامية بزوجته ، يصدق الأستاذ فهمي هذا الفرض الذي نقل إليه ، فلم لا يصدق هذا الفرض الآخر الذي يمكن أن يقال له ، وهو أن نيتشة لم يخلع على فاجنر أثواب المديح والإطراء إلا بفضل علاقته الغرامية السابقة بزوجته ؟! ... ترى أكان نيتشة حين رمى فلسفة شوبنهاور بالزيف والخواء ، ترى أكان متصلا بزوجته أيضاً ثم قطعت هذه الصلة يا أستاذ فهمي ؟ حنانيك يا موازين النقد !

بقي شيء يفرض على الموقف أن أثبته في ختام هذه الكلمة ، وهو أنني أشكر للأستاذ عبد الرحمن الحيسي رحابة صدره في تقبل نقدي له ... الحق أنه أدهشني بهذه الروح المثالية حين لقيني منذ أيام في ندوة الرسالة ، وحين قال إنه لا يضيق بالنقد مهما عنف ما دام هدفه الأول هو الكشف عن الحقائق ووضع كل شيء في مكانه .

إنني أسجل إعجابي بهذه الروح الطيبة ، وأرجو أن أكون قد كشفت من حقيقة الصلة بين نيتشة وفاجنر ، كما يقررها الواقع لا كما يتصورها الخيال !

وللأستاذ الحيسي أطيب تحياتي .

لحظات مع الفنان الفرنسي جان كوكتو :

يزور مصر الآن فنان فرنسي موهوب هو جان كوكتو ، ولا أعرف رجلا من رجال الأدب والفن في عصرنا الحاضر تعددت مواهبه كما تعددت مواهب هذا الرجل ... إن كوكتو رسام وشاعر وكاتب مسرحي وناقد وأديب ، وهو بعد ذلك مخرج مسرحي يشرف بنفسه على إخراج قصصه وقصص غيره في فرقة الممثل الفرنسي النابه جان ماريه ، وهي الفرقة التي تعمل منذ أيام على مسرح الأوبرا الملكية

ولقد استوقف نظرى ما جاء بمقال الدكتور طه حسين بك فى « الأهرام » عن كوكتو حين قال : « وجان كوكتو أديب فرنسى ممتاز ، ولعله أن يكون من أظاهر الأدباء الفرنسيين وأشدهم امتيازاً فى هذا العصر ، وربما كان أظاهر الخصال التى تميزه أن نزعاته الأدبية والفنية لا تسلك طريقها إلى الفوز دون أن تلق من العتاب والمقاومة ما يثير حولها كثيراً من الخصومة والجدال » !

الواقع أن هـذه الكلمات التى نطق بها أديبنا الكبير تقرر الواقع فى كثير من الدقة بالنسبة إلى فن جان كوكتو . . . إن الرجل فنان ممتاز ما فى ذلك شك ، ولكن فنه يثير كثيراً من الجدل واختلاف الرأى بين خصومه وأنصاره ، أناس يرفعونه إلى القمة وآخرون يهوون به إلى الحضيض ، والزمن وحده كفيل بتقدير فن الرجل ووزنه بميزانه . ولقد تهيأ لى أن أطلع على أربع رسائل تلقاها من باريس أحد أصدقائى من بعض زملاء دراسته فى السوربون ، وهى تدور كلها حول كوكتو وفنه ورحلته إلى مصر : رسالتان تحطان من قدره وتحملان على خلقه ، ورسالتان ترفعان من فنه وتشيدان بمواهبه ، وأنا بين الرسائل الأربع يأخذنى العجب من رجل لا يلق رأياً وسطاً بين المعجبين به والمتحاملين عليه !

مها يكن من أمر كوكتو وأمر خصومه وأنصاره ، فإننى أشارك الدكتور طه دهشته من أن هيئة ثقافية واحدة فى مصر ، لم تفكر فى إحداث صلة بين هـذا الأديب النظيم وبين شبابنا المثقفين .. الواقع أننا نغط فى نوم عميق !

ردود قصيرة على رسائل القراء :

أشكر للصديق المجهول الذى كتب إلى من القاهرة جميل تقديره ، وأود أن يبعث إلى باسمه وعنوانه لأرد إليه تحيته ، أما الصديق الآخر المجهول الذى كتب إلى للمرة الثانية من الاسكندرية فأرجو أن يبعث إلى أيضاً باسمه وعنوانه لأجيبه عن أسئلته التى أشرت إليها من قبل ، لأن الإجابة عنها فى « الرسالة » ستشغل الصفحات الثلاث المحددة للتعقيبات .

أما الأديب الفاضل صبرى حسن علوان الطالب بكلية العلوم بجامعة فؤاد فيعتب على تلك التحيـة التى وجهتها إلى طلاب الأزهر ، ومما جاء فى رسالته : « . . وأحب أن تحيى الشباب المخلصين للأدب والفن على أنهم أدباء ، لا على أنهم من طلاب الأزهر أو طلاب الجامعة » ! . . إن ردى على هذا العتاب هو أننى ما حييت هؤلاء الشباب إلا لأنهم أدباء ، ولكن من حقهم على أن أشير إلى أنهم من الأزهر ، ومن حقك على أيضاً أيها الأديب أن أحييك مشيراً إلى أنك من الجامعة . وهذه رسالة رابعة من بغداد يناقشنى فيها الأديب الفاضل محمد روزناجى الطالب بكلية الحقوق حول ما كتبته عن الأستاذ سلامة موسى . أحب أن أقول لهذا الصديق العراقى الفاضل إننى أرجو أن يتسع وقتى لأرد عليه فى رسالة خاصة . ورسالة خامسة من طنطا يقول مرسلها الأديب الفاضل محمود محمد على إنه يؤيد ما أبديت من رأى فى شخصية بيرون الأدبية والإنسانية ، ويرجو أن أتناول بالنقد والتحليل — كما فعلت عند الحديث عن بيرون — بعض الشخصيات الأدبية فى مصر ... إننى أشكر له خالص ثنائه ،وقد أستجيب لكريم رغبته .

أما الرسالة السادسة فمن « أبو حمرة — سودان » يقول صاحبها الأديب السودانى الفاضل عبد الرحيم الحاج محمد إنه يود الا أقتصر فى « التعقيبات » على التوجيـه الأدبى وحده ، بل يجب أن أخصص جانباً منها للتوجيه الاجتماعى . . يسعدنى أن أحقق هـذه الأمنية فى القريب . وأقول لصاحب الرسالة السابعة الأديب الفاضل محمد على مخلوف بمعهد التربية العالى بالإسكندرية إننى سأدفع بقصيدتك إلى الأستاذ الزيات مع تزكيتى ، كما أقول لصاحب الرسالة الثامنة الأديب الفاضل على أحمد الخطيب الطالب بمعهد الإسكندرية الدينى إن الكتاب الذى رجع إليه لا يعتمد عليه ، لأنه يشوه الوقائع الثابتة ويخالف منطق التاريخ .. ولهؤلاء القراء الأصدقاء جميعاً أصدق الود وأخلص التحية .

جولة قصيرة فى معرض الفن الإيطالى :

لحظات جميلة وممتعة ، تلك التى قضيتها منذ أيام فى معرض الفن الإيطالى . . كم أود أن يزور المثقفون هـذا المعرض الممتاز الذى نظمته جمعية محبى الفنون الجميلة بالقاهرة ومتحف بيتال بمدينة البندقية بإيطاليا ، ليحلقوا بأفكارهم كما حلقت فى سماء الفن الرفيع ! يؤسفنى أن يضيق النطاق من التحدث عما شاهدت ، فإلى العدد المقبل حيث أقدم للقراء عرضاً تحليلياً لبعض اللوحات الممتازة التى وقفت منها موقف التأمل والدراسة والقارنة .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والمجتمع:

قامت مناظرة يوم الخميس الماضي في قاعة علي باشا مبارك بكلية دار العلوم، موضوعها «هل الأدب للأدب أو الأدب في خدمة المجتمع؟» ورأس المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن، وتناظر في الموضوع ستة من الطلبة، فأيد الرأي الأول عبد الخالق الشهاوي وأحمد عبد الله الهنداوي ومحمد محمود عبد النبي، وأيد الرأي الثاني محمد موسى طحان وأحمد غنيم وأحمد الزقم.

وسأعرض هنا بعض ما قاله المتناظرون، وأعلن أولا أني لست محايداً، وإنما أقول بالرأي الثاني، ولهذا سأجعل من همي أن أفند ما لم يفند من أقوال أصحاب الرأي الأول، وأعرض صفحاً عما لا أراه ينفع من كلام أصحاب الرأي الثاني.. ولا شك أن للقارئ حريته فيما يرى.

قال الشهاوي: إن الأديب ينتج وهو حالم ولا يتجه في إنتاجه إلا إلى الجمال، وليس من هدفه الحق والمنفعة والخير. وأقول: إن الأديب لا يحلم بالهواء وما هو حين يستسلم للنشوة الأدبية إلا يسترجع ما رسب في أعماقه من شئون الحياة وصور المجتمع؛ أما الجمال فلا تعارض بينه وبين الحق والمنفعة والخير، ولم الفصل بينه وبينها وكثيراً ما يكون داعياً إليها؟ وقال هل تريدون أيضاً أن تكون الأساطير الأدبية في خدمة المجتمع؟ ورد عليه غنيم بأن الخرافية في الأدب ليست مقصودة لذاتها وإنما هي تشيد بالمثل العالية.

وقال الهنداوي: إن الأديب يشعر بما يشعر حراً فكيف تحملونه على أن يعبر كما يريد المجتمع؟ وقال: إنه قد يغضب من المجتمع فكيف يعبر عن غضبه بما يرضي المجتمع؟ وقال: إن الإنسانية هي نبع الأدب لا الاجتماعية. ورد غنيم بأن الأديب إنسان ممتاز يشعر بما في الحياة شعوراً ممتازاً ويترجم عنه لصالح المجتمع دون أن يملى عليه شيئاً، وإنه حين يغضب من المجتمع لا يعاديه وإنما يثور عليه لإصلاحه، وقال: إن الأديب لا يكون إنسانياً إلا إذا كان اجتماعياً.

وقال عبد النبي: إن الأخلاق اعتبارية تتغير والأدب خالد يعبر عن الحقائق الثابتة. وأقول: نحن لا نريد من الأديب أن يكتب في الأخلاق مباشرة، وإنه حين يثور على وضع من الأوضاع الأخلاقية إنما ينشد التطور ورقي المجتمع.

ورد طحان على أن الأدب فن من الفنون الرفيعة لا يقصد إلا إلى الجمال، فقال إنا لا نسلم بأن الفنون قاصر أمرها على الجمال، فأنت تمر بتمثال الحرية مقاماً في أحد الميادين فيوحي إليك معاني الوطنية ومشاعرها، ولم يقل أحد بأنه يجب عليك أن تشعر بجمال التمثال وتمضي دون أن تحس شيئاً من أهدافه القومية والاجتماعية. ومن طريف ما قاله طحان: إن «الأدب للأدب» كالنحو للنحو.. أي أن الإنسان بناء على هذا يعرف النحو ويلحن كما يشاء، لأنه يعرفه لذاته لا ليقيم به الكلام... وتساءل غنيم: هل الأديب حشرة إتلافية؟

وقال الزقم: إننا إذا نظرنا في الأدباء الخالدين لم نجد إلا من خلدته آثاره في خدمة المجتمع.

وقد أثار المتناظرون موضوع «التابعي وأسمهان» إذ قال أحد الفريق الأول: إن التابعي يكتب في «آخر ساعة» مذكراته عن أسمهان ليعبر عن أحاسيس هذه الفنانة، ولم يعبأ بمن ثاروا عليه. وقد كان ذلك مثار حملات من الفريق الثاني على شغل تلك الصفحات بمثل ذلك الكلام. والحق أن الفريقين ظلموا التابعي، فليست مذكراته عن أسمهان من «الأدب للأدب» وإنما هي تهدف إلى أغراض اجتماعية وسياسية يستشفها القارئ الفطن من خلال ما يعرض من حوادث.

وختم المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن مثنيا على المتناظرين وحسن تفاهمهم وما بدا فيه من الروح الرياضية قائلا بأنه إذا كان العمل الرياضي تمريناً للجسد فهذا تمرين للفكر، والثاني أحق بأن تسوده الروح الطيبة. وآثر الأستاذ ألا يجري الاستفتاء بين الحاضرين لأن المقصود ليس انتصار فريق على آخر وإنما هو بحث للموضوع وتبين جوانبه. وأبدى رأيه في الموضوع فقال إنه لا تعارض بين الرأيين، لأن الأدب ينبع من الفرد ومن المجتمع، ومدار الأمر فيه على الصدق، والأديب الصادق التعبير يخدم الإنسانية فرداً أو مجتمعاً.

وقد كان أصحاب الرأي الأول يرددون أن الأديب ليس واعظاً ولا مرشداً ولا مقرر نظريات وعلوم . وكان الفريق الثاني يقول بأن الأديب لا بد أن يعالج شؤون المجتمع ويكتب في مشكلاته . وهنا أمر يحسن الالتفات إليه ، وهو أن الأديب لا يدعو إلى الأخلاق دعوة مباشرة ولا يعالج مشكلات المجتمع كما يعالجها الباحث الاجتماعي ؛ وإنما هو يتناول كل ذلك بطريقته الفنية وصوره الأدبية ومن المسلم به أن تجارب الحياة أجدى من الوعظ إن كان فيه جدواء ، والأديب يعبر عن تجاربه الشعورية فينقل القارئ إلى عالمه ويؤثر فيه بحيث يجعله مشاركاً له في التجربة ، والأديب حين يتجه إلى المسائل الاجتماعية إنما يأتيها من حيث آثارها في صوره وأشخاصه ، لا من حيث هي مشاكل يقترح لحلها كذا وكذا .

والأدب الآن يتجه إلى الإنسانية وتحليل النفس ، والأديب حين يتغلغل بقلمه إلى إبراز المشاعر الإنسانية وتحليلها إنما يهدف إلى الحق والخير والجمال .

الأدب المصري :

قال الأستاذ بدوي طبانة في كلمة له بالأهرام ، إنه لاحظ وهو يحقق كتاب « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » للعماد الأصفهاني — أن مصر أنجبت نحو مائة وثلاثين شاعراً في القرن السادس الهجري ، جلهم إن لم يكن كلهم مغمورون لم يتناولهم علماؤنا وأدباؤنا بالدراسة كما تناولوا غيرهم من أعلام المشارقة والمغاربة .

وأذكر أن بعض الكتاب قد أثار هذا الموضوع منذ سنين ، ونبه على إهمال مصر الأدب المصري مع جدارته بالإحياء والدراسة ، وأنشأت الجامعة كرسياً بكلية الآداب للأدب المصري ، شغله الأستاذ أمين الخولي ، ووضع له منهجاً لم ينفذ ، والأستاذ يدرس الآن في الكلية مواد ليس من بينها الأدب المصري وهو لا يزال أستاذ الأدب المصري !

ولا يزال أساتذة تاريخ الأدب في المدارس وكليات الآداب ودار العلوم واللغة العربية يمرون بالأدب المصري مارين مسجلين ، وقلما يحظى هذا الأدب بالتفات الأدباء في غير المدارس والكليات .

ولعل من أسباب ذلك أن أكثر مراجع التاريخ والأدب في العصور المصرية المتأخرة مخطوط .

ولا شك أن أول ما يجب عمله في هذا السبيل ، هو إحياء

كشكول الأسبوع

□ من البرنامج الذي وضع للتعاون العربي في اجتماع أقطاب الدول العربية ببيروت ما يلي :

١ — تقوية نفوذ اللجنة الثقافية في الجامعة العربية بطريقة تجعلها إدارة مركزية لها نفوذها وسلطتها على الإدارات العلمية والثقافية في جميع البلاد العربية .

٢ — الدعوة إلى مؤتمر لغوي لكي تصبح اللغة العربية متفقة في مصطلحاتها ومظاهرها مع الظروف العلمية الجديدة ، مع تنسيق المصطلحات العلمية ولا سيما الأسماء الجغرافية العامة .

□ أعرب سفير إسبانيا في مصر لسعادة عبد الرحمن عزام باشا عن رغبة بلاده الاشتراك في مهرجان ابن سينا الذي تعتزم إقامته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية . وقد رحب عزام باشا بهذه الرغبة .

□ زار معالي الأستاذ علي أيوب وزير المعارف مؤسسة الثقافة الشعبية ، وألقى هناك كلمة قال فيها : إني قرأت فيما قرأت أن الموسيقى كانت تدرس في الأزهر الشريف عند نشأته إلى جوار دروس الفقه .

□ ألقى الأستاذ زكي طليمات محاضرة عن « فن الإخراج » بالجامعة الأمريكية ، أوضح فيها أصول هذا الفن ودقائقه ، ومما قاله أن أول ما يشترط في المخرج الفهم ، فهم ما بين السطور وإدراك المرامي الخفية ، حتى يستطيع إبراز الرواية في الإطار اللائق بها .

□ وافق معالي وزير المعارف على اعتماد ثلاثة آلاف جنيه في الميزانية الجديدة لإقامة حفلات تمثيلية نموذجية يقدمها خريجو المعهد العالي لفن التمثيل وطلبته في دار الأوبرا الملكية . وقد حقق معاليه بذلك رغبة العاملين على ترقية التمثيل المسرحي في مصر .

□ قال الدكتور أحمد عبد النبي بك في محاضرة عن الموسيقى بالجامعة الأمريكية : إن ترديد كلمة « يا ليل » وإن كان مراعاً للأصول الفنية إلا أنه لا يلائم ذوق العصر ، فليرح المغنون أنفسهم من مناجاة الليل التي لا يجيب .

□ اتجه الرأي أخيراً في وزارة المعارف ، إلى أن خير حل لمسألة مراقب التعليم بالسودان هو تعيين مراقب جديد يكون مقره الخرطوم ، ويسند إلى المراقب السابق منصب آخر بالوزارة .

□ بلغني من الأستاذ أحمد أحمد العجمي أنه سبق الأستاذ أحمد مخيمر إلى نظم صور شعرية للأدباء ، وأن الأستاذ العوضي الوكيل نسج على منوال مخيمر في ذلك وأعد للطبع ديواناً كاملا بعنوان « رسوم وشخصيات » والأستاذ العجمي يريد تسجيل أسبقيته على الاثنين في هذا المضمار . والرسالة تسجل للمرحوم أحمد الزين السبق على أولئك جميعاً .

□ صدر أخيراً كتاب « رسالة الشاعر » للأستاذ إبراهيم الأبياري ، وهو يتضمن بحثاً عن رسالة الشاعر في الحياة ودراسة طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام في ضوء هذه الرسالة .

□ اتصل بي الأستاذ عبد الرحمن الخميسي ، وأوضح لي وجهة نظره فيما كتبته في الأسبوع الماضي من الطعن من شعره ، وموعدنا لبسط ذلك الأسبوع القادم .

هذه الكتب بالتحقيق والطبع لتكون في متناول طلاب الأدب، وعندنا هيئات حكومية وأهلية تعمل في إحياء تراثنا الثقافي، كالقسم الأدبي بدار الكتب، وإدارة التراث العربي بوزارة المعارف، ودار المعارف، فهلا وجهت عنايتها إلى هذه الناحية؟

في معرض الفن الإيطالي:

هناك على شاطىء النيل في قصر الخديو إسماعيل، أخذت معروضات الفن الإيطالي مكانها، وفي مدخلنا إلى هذا المعرض استفزنا السرور بمرأى الجنود المصريين حيث تعودنا أن نرى السحن الحمراء التي كانت تحتل هذا القصر، وشارك العلم المصري المرفوع قلوبنا في الخفقان. ألا ليت معرض الفن المقام هناك والذي نقصد إليه، كان مصرياً.. حقاً إن الفن لا وطن له كما يقولون، ولكن ظروف المكان تحتاج إلى استدراك ...

المعرض فخم، والمكان فخم، تنقل بصرك بين اللوحات المعروضة وبين النقوش على السقوف والجدران، فتحار بين هذه وتلك، ومن الغريب أنهما يتشابهان في الفخامة. وقد جلنا بالمعرض، فاستدعى التفاتنا إتقان الأبعاد والألوان، ولكن قلما وقفنا مشاركين في إحساس وشعور. وطالما وقفت وقفات شاعرة أمام لوحات في معارض مصرية، أما في هذا المعرض الإيطالي فلم أحس بالمشاركة الوجدانية إلا في بضع صور، منها صورة الحصان الميت وقد وقف بجانبه صاحبه العجوز البائس وملامحه تنطق بأنه لا يملك سواه، وصورة أم تنظر إلى ابنها نظرات كلها حنان، وفي مقابل هذه الصورة صورة أخرى كبيرة بها امرأة تحمل طفلها وبقرة بجانبها رضيعها، والصورة الكبيرة فخمة جيدة التلوين، باهرة المنظر، ولكنها فقيرة في الإحساس والوجدان، ومن الصور التي أعجبتني أيضاً لوحة تهجم فيها عنزات على عربة حشيش، وبالقرب منها راعية تبدو فيها «الرعاية» واضحة.

وقد وقفنا أمام صورة هناك فدققت فيها لأرى ما هي، وأنا أقول لصاحبي: هذه الصورة لا بد أنها من «السريالزم» ثم أردفت: إنها تمثل ديكا. فقال صاحبي - وهو الأستاذ أنور المعداوي - بما أننا تبينا فيها ديكا فلا يمكن أن تكون من «السريالزم»!

نصف مليون جنيه يصرع رأس الدولة:

صرح دولة إبراهيم عبد الهادي باشا للصحفيين في أحد اجتماعاته بهم، بقوله «إن ميزانية وزارة المعارف قد تضاعفت عدة مرات حتى أصبحت الآن حوالي ثمانية عشر مليوناً من الجنيهات، تضاف إليها ثلاثة ملايين جنيه للتعليم الجامعي، أي أن واحداً وعشرين مليوناً من الجنيهات تنفق في العام الواحد في نشر نور العلم ومحاربة الجهل في مصر. وقد تدهشون إذا عرفتم أن إيرادات المصروفات المدرسية لا تواجه من هذا المبلغ الضخم غير ثمانمائة ألف جنيه..»

ومعنى ذلك أن الدولة تنفق على التعليم نحو ٢٦ مثلا لما تحصله من التلاميذ، وأنت قد تريد الذهاب إلى حلوان مثلاً، فيقدم لك العامل في (شباك التذاكر) ورقة تبرع لإحدى الجمعيات الخيرية بقرش، وإذا ناقشته قال لك: من يدفع ستة قروش لا يكثر عليه قرش! فهل نقول للدولة كذلك: إن ثمانمائة ألف جنيه ليست شيئاً إلى جانب واحد وعشرين مليوناً من الجنيهات؟

والأمر أهون من ذلك، فإن وزارة المعارف تبذل جهوداً وتنفق أموالاً بسبب تنظيم المصروفات المدرسية، فهناك بحث حالات المجانية ونصف المجانية ومن لا يستحق المجانية، وتتفرع من ذلك أعمال كثيرة يقوم بها موظفون ينظرون في أعمار التلاميذ ونسب مجاميعهم، وفي إحصاء أبناء المدرسين والصحفيين والضباط وفحص حالاتهم لتبين من يستحق نصف المجانية منهم، وفيمن لديه ولدان ينفق عليهما في إحدى المدارس الثانوية وما يعادلها فيعفى بقية أولاده، ومن لديه ولد واحد إذا كان مدرساً وفيمن أخنى عليهم الدهر - إلى غير ذلك من التحصيل والرصد وكتابة (الاستمارات) وإعداد الميزانية، مما يخصص له موظفون يتناولون مرتبات ويطالبون بتطبيق (الكادرات).

ولا بد أن كل ذلك يستنفد بعض ثمانمائة ألف الجنيه؛ وما يتبقى بعد ذلك، ولنفرض أنه نصف مليون جنيه، يصدع رأس الدولة بالشكاوى، ويشغل وقت الرؤساء والنواب والشيوخ وغيرهم من ذوي الجاه بالوساطات والشفاعات، ويشغل بال المعوزين من آباء التلاميذ ويربك حياتهم ويتحيف مستوى معيشتهم، وقد يحملهم على بذل ماء الوجوه في التوسل والرجاء، ولا يخفى أن الأولاد تنطبع في أذهانهم صور من ذلك تخل بعيار النظر الصحيح إلى الأمور.

نصف مليون جنيه ... استغنوا عنه وضموه إلى الواحد والعشرين. وأريحوا أنفسكم وأريحوا الناس ...

عباس خضر



على هامش كتابين

١ – مع النـــــاس

تأليف الأستاذ محمد علي الحوماني

الأستاذ الحوماني أديب لبناني جمع إلى أدبه الفياض وشعره الرصين وحديثه الطلي، سرعة الخاطر ودقة التعبير وسلامة الأسلوب، وهو عربي يعتز بعروبته ووطنيته. بدأ حياته مجاهداً ضد الاستعمار الفرنسي – وهو ما يزال في مقتبل العمر وفي فجر الحياة، غض الإهاب لين العود – فأحيل إلى المجلس التأديبي، ولكنه لم يستخذ ولم يستسلم، ففر إلى شرق الأردن حيث أخرج ديوان الحوماني (سنة ١٩٢٦)، وديوان نقد البائس والمسوس (سنة ١٩٢٨).

ومنذ ذلك الحين اضطربت به نوازع الحياة ودوافع السياسة، فأخذ يتنقل بين وطنه (الشرق العربي كله) وبين المهجرين الأمريكي والأفريقي. وكان في كل بلد يصل حبله بقادة الرأي وزعماء السياسة وأهل الفكر يبادلهم الحديث ويناقشهم الخاطرة، وتتفجر الحديث – في هذه المجالس – فنوناً، وتنبثق من أبحاث قيمة ناضجة في الأدب والعلم والسياسة والاجتماع والفن. فهو – من ناحية – يتحدث عن الموسيقى حديثاً عبقرياً فيقول: «الموسيقى هي واحد من هذه الأشياء التي لا تستطيع التعبير عنها بأكثر من أنها لغة تخاطب الروح مباشرة دون ما رمز من إشارة أو تصوير. أما الموسيقى، الموسيقى العبقرية، فإن الروح تتناولها من يد العازف على رنة الوتر دون ما جهد أو إعنات، وتحليل هذه الهزة الروحية التي يتأثر بها السامع وهو يصغي إلى توقيع الفنان يكاد يعجز بيان الفكر الحاذق». وهو – من ناحية أخرى – يتحدث عن الدين: «فالعروبة في أي زمن تستهدف للزوال إذا لم يعضدها الدين ...»

هذه المجالس، وهذه الأحاديث، عمل فني جليل لا عجب إن قام به المؤلف، وهو صاحب مجلة (العروبة) اللبنانية. ولقد ضمها كتاب «مع الناس»، وهو كتاب فيه ألف فكرة لألف رجل، والمؤلف فكرة واحدة هي إيمانه بقول سيد العرب (ص): «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». وهو دائرة معارف عربية يستطيع المرء أن يرى من خلالها العقل العربي وهو يضطرم في الشرق والغرب معاً، وأن يعيش حيناً بين أهل الرأي وسادة الفكر من العرب يحس نبضات قلوبهم وخلجات أفكارهم ونوازع أنفسهم، فيلمس – من قريب – آراءهم وخواطرهم، ويشرف على آمالهم وأمانيهم

وإن القارئ ليجد خواطر المؤلف منبثة بين أعطاف الكتاب في سطور متناثرة هنا وهنالك، يستطيع الأديب الدقيق أن يضم أشتاتها بعضاً إلى بعض لتصبح مبدأ يقول بأن الأمة توشك أن تنهار إن هي لم تتمسك بجهدها بثلاثة أشياء متساندة مترابطة هي: اللغة والأخلاق والدين. فهو يوقن بأن «اللغة قبل كل شيء، لأنها العنصر الذي يقوم به أمجاد الأمة، فعلينا أن نعلم الولد كرامة أمته ومجدها في الكلمات العربية ليقرأها ويشعر أنه يشرف على مجده وعزته القومية من خلال الحروف والكلمات». وهو يؤمن بأن «الثورة التي تقوم في العالم على أساس الأخلاق، إنما تمهد للإنسانية فتسمو وتصعد إلى مستوى الملكوت. أما الثورة من أجل السياسة، أو العصبية للعنصر أو الوطن، فإنما هي مدعاة التناحر لا تنفك تفتك في البشرية حتى تصل بها إلى العهد الذي نحن فيه: علم يصعد إلى السماء لينحل قنابر تتفجر أو مدافع تدمر تعود بنا إلى دور الوحشية الذي تمسنا الحاجة فيه إلى أمثال موسى وعيسى ومحمد ...» وهو يعتقد بأن «التعصب للدين ليس عقبة تصدم الإنسان في نهوضه إلى الحياة الحرة كما يتوهم من لا يفقه الدين، فإنا نرى اليهود في العالم كله يتعصبون لدينهم، وتراهم محسودين من جميع العالم، والعالم مسخر لهم، وهم بضعة ملايين. فلو تعصب المسلمون لدينهم تعصب اليهود – ودينهم مدني فوق كل دين – لكانوا المثل الأعلى على هذه الأرض ...»

وهكذا يرى المؤلف أن اللغة والأخلاق والدين هي العمد الثابتة المتينة التي يجب أن تكون أساساً لرقي الأمة وسموها ...

وحبذا لو أخذنا بهذا الرأى ، حبذا ...

وإن الكاتب ليحس صعوبة شديدة فى الكتابة عن هذا السفر لما فيه من آراء متفرقة وأبحاث متشعبة ، بقدر ما يلمس القارئ فى قراءته من لذة ومتعة . وإنى لا أجد ما أقدم به هذا الكتاب إلى قراء العربية سوى أن أقول : إنه دائرة معارف تسمو بقيمتها وروائها .

٢ - اصطلاحات عربية لفن التصوير

تأليف الدكتور بشر فارس

هذا « مبحث ألقى فى المجمع العلمى المصرى فى جلسة علنية فى السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨ » ، وهو معجم يحتوى على اصطلاحات فرنسية فى فن التصوير عدتها تسعة وثلاثون ومائة جمعها الدكتور بشر ورتبها على حروف المعجم الأفرنجى وترجمها هو ، فصارت مرجعاً قيماً للباحث والكاتب والقارئ ، ثم أخذ يوضح مدلولات الألفاظ العربية المقابلة للتعبير الفرنسى « وقصر الكلام هنا على الكلمات التى هى من ثمرة بحثه وعدتها خمس ومائة » .

وخشى المؤلف أن يعثر المطلع فى معجمه على لفظة خشنة ، أو اصطلاح جاف ، فاستدرك يقول : « وتوخيت فى أثناء النقل أقرب ما استطعت من اللغة الجارية عندنا لهذا الزمن ، متلفتاً إليها ، أو مستشهداً ، خشية أن تتسع الفجوة بين الذوق السائد واللفظ المستنبط فيموت وليداً » .

ولقد كتب الدكتور بشر تصديراً لهذا البحث جاء فيه : « على أن أحداً لا يشك فى أن لغتنا الكريمة وإن زخرت بالألفاظ وعلت بالتعبيرات لتقصر اليوم عن الأداء الأفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وكأنى بك ترى اضطراباً واختلالاً فى أكثر ما يقع عليه بصرك . لذلك بدا لى أن أهيئ طائفة من الاصطلاحات الدائرة فى باب التصوير وما يجرى مجراه ، عسى أن تستقيم أداة التأليف ، وتندفع آلة النقل ... » .

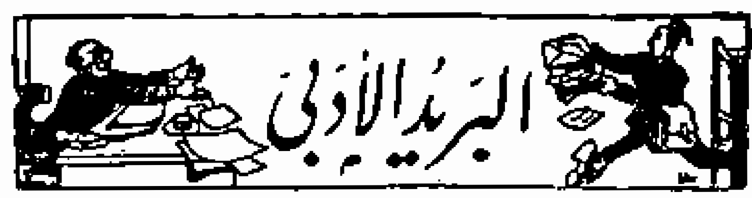
هذا هو رأى الدكتور فى اللغة العربية ، فهو يراها قاصرة عن الأداء الإفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وأنا لا أوافقه فى ما ذهب إليه ، فإن لغتنا الكريمة لم تضق يوماً بعلوم اليونان حين بدأت النهضة العلمية الإسلامية ، وحين ازدادت نشاطاً وقوة فى العصر العباسى ، فراح العرب — إذ ذاك — ينقلون علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات ، فنقلوا — فى سنوات — مئات من أمهات الكتب فى الفنون المختلفة . ولم تعجز عن أن تقتحم باب العلوم الرياضية حين نقل « محمد بن موسى الخوارزمى » أرقام الحساب عن الهنود وأدخلها فى العربية ، وحين وضع « الصفر الحسابى » فحل بذلك أكبر معضلة رياضية فى العالم ، وحين وضع جداول اللوغارتمات وهى ما تزال تحمل اسمه حتى اليوم فهو يعرف عند الفرنجة باسم Algoritmi . ولم تقصر عن أبحاث الميكانيكا والإيدروستاتيكا بين يدى « أبى الريحان البيرونى » حين وضع كتابه « الآثار الباقية » . ولم تضعف أمام أبحاث « الحسن بن الهيثم » فى الضغط الجوى — وهو قد سبق فى ذلك البحث توريشيلى بخمسة قرون أو أكثر — ولا فى البصريات . وإن أبحاث ابن الهيثم التى استغرقت نيفاً وستين كتاباً كلها فى العلوم التعليمية (الطبيعية) ما تزال مرجعاً يهتدى بنوره علماء الغرب للآن .

هذه اللغة التى وسعت كل هذه الأبحاث ، وهى أس النهضة العلمية فى أوربا ، ووسعت غيرها مما يضيق عن سرده هذا المقام ، لا إخالها تقصر عن الأداء الإفرنجى فى صنوف والصناعات .

على أنى ما زلت أعجب أن يقول الدكتور بشر بذلك وهو نفسه قد استعان باللغة العربية — فى معجمه — فى التعبير عن الألفاظ اللاتينية المقابلة . ولو أنها عجزت عن هذا الأداء لما أمدته بهذه المصطلحات .

ومها يكن من خلاف بين رأى المؤلف ورأيى فإنه لا يسعنى إلا أن أعترف بأنه قد بذل جهداً عظيماً مشكوراً فى تصنيف هذا المعجم

كامل محمود حبيب



حول « مآخذ أربعة » :

تفضل الأديب الطلعة سامي حسن حبشي – في العدد ٨١٩ من الرسالة الغراء – فشمل قصيدتي « شهرزاد » بثنائه الكريم ونقده الرفيق : ورأى في القصيدة مآخذ أربعة أخذها علىّ . وردي عليه كما يلي :

١ – ذهب الأخ الناقد في تفسيره لكلمة «مغنى» الواردة في البيت التالي :

« كأسُك الترنُ ومغناك أغاريدُ العصورِ »

مذاهب ، خرج منها بأنه لا وجه لاستعمال هذه الكلمة في هذا المقام . أما أنا فأقول بأن كلمة « مغنى » – كما وردت في البيت – إنما قصدتُ بها المنزل : وليس المنزل مجرداً عُرياناً ، أو « الموضع الذي كان به أهلوه » ، ولكنه المنزل الذي تدل عليه كلمة مغنى نفسها . وأظن أن الأديب الفاضل مر مع المرحوم أمير البيان الارسلاني حينما وجه هذه الكلمة – مغنى – توجيهاً خاصاً خرج منه إلى أنها « منزل الأنس والطرب والغناء والسمر . أو هي باختصار نُزُل السامر » . وعلى هذا يكون المعنى الذي رميتُ إليه : إن مغناها – وهو موطن سمر شهرزاد وأنسها – أصبح أغرودة من أغاريد العصور ، تُلهم الشعراء والكتاب . إذ لا وجه للقول مطلقاً بأن مغنى شهرزاد (بمعنى غناء) قد أصبح غناء العصور – إذ يركُّ المعنى ويسفُّ جداً : فما كانت شهرزاد تغني أصلاً : وليس غناؤها هو الذي يدوي في أجواء العصور ، وإنما الذي دوّى هو سامرها وأصداء ذاك السامر ! .

وكنت أرجو من أخي الناقد عدم الاتكاء على الرجال السيد بيرم التونسي ؛ فهو الذي يعرف منا ومن مفاهيمنا .

٢ – واعترض الناقد الفاضل على البيت التالي :

« ونداماك مشيقٌ ثائرُ الحظ الكبير » ، بقوله : كان الصواب أن يقول : ونديمك مشيق ؛ أي أن يأتي بالفرد دون الجمع !

وواضحٌ هنا شيء من الإبهام لدى الأخ الناقد ؛ لأنني عنيتُ تماماً اتجاهي حينما قلتُ : « ونداماك عشيق ... » : لأن الأبيات السابقة توضح هذا الاتجاه ، إذ قلت :

وليــاليكِ غــرامٌ بين أحضان الدهورِ
كأســكِ الترنُ ومغناكِ أغاريدُ العصورِ
ونداماكِ مشــيقٌ ثائرُ الحظ الكبير .. »

فتلك الليالي ، وتلك الكأس ، وذاك السامر ، بحاجة إلى ندامى لا إلى نديم . وقد جُمع أولئك الندامى فكانوا ذاك الشيق « شهريار » الثائر الحظ الكبير ! وواضح أن اللغة تُفرق على ما ذهبت إليه ، تأويلاً(١) ودون تأويل أيضاً .

٣ – وأخذ علىّ حضرة الأخ الناقد قولي : « ووراء الدهر فاستلقاه خفاق وثارا » ذهاباً منه إلى أن « استلقى » إنما هي من « استلقى على قفاه » – ولا معنى لها هنا ، وأنا معه حقاً إن كانت استلقى بالمعنى الذي ذهب إليه . ولكن اللغة وحدها هي التي تقول بأن الاستفتاح بالسين والتاء إنما للدلالة على الطلب ، قياساً على قولنا (رضى واسترضى ، بكى واستبكى ، غنى واستغنى) ومن هـذه الزاوية القياسية الصحيحة يتضح أنني كنت على صواب في هذا الاستعمال .

٤ – أما المأخذ الأخير حول «السماء حيرى» فوجهة نظري أن كلّ جمع مؤنث ، عاملت الجمع معاملة الفرد والمؤنث .

وإنني في الختام أشكر للأخ الناقد هذه الفرصة التي جمعتني وإياه لنتعارف على صفحات «الرسالة» الأم ؛ وأنعم به من تعارف وأعظم بها من رسالة تؤديها « الرسالة » .

دمشق — زهير ميرزا

---

(١) التأويل : كل نداماك عشيق ...

سرقة قصة :

لم يستنكف الأستاذ عبد الله عبد الصمد البشير من أن ينقل قصة أمريكية مشهورة لكاتب أمريكي مشهور ثم يدعي أن الله قد وهبه مقدرة على كتابة القصة القصيرة . فلا يشير إلى كاتبها بكلمة واحدة بل وينشر القصة في مجلة الدنيا الجديدة عدد مارس الذي صدر أخيراً تحت عنوان « صانع السم » .

أما القصة الأمريكية فهي راشيل « Rachel » وأما كاتبها فهو الكاتب الأمريكي ارسكين كالدويل « Erskine Caldwell » وقد ظهرت هذه القصة في مجموعة من القصص الأمريكية القصيرة تحت عنوان « Modern American Short Stories » ونشرت في كتاب رقم ١١٢ من سلسلة بنجوين « penguin Books » وطبعت بالقاهرة إبان الحرب الماضية .

ولو أننا قرأنا راشيل وهي القصة الأمريكية لوجدنا مثالا رائعاً للقصة القصيرة تدل على أن هناك من الكتاب من يستطيع أن يخرج قصة قصيرة محبوكة مستوفية للشروط الفنية للقصة .

لقد استبدل الأستاذ عبد الله عبد الصمد البشير باسم راشيل في القصة الأمريكية صبيحة في قصته المصرية ، ثم أختصر القصة الأمريكية . فقصته ترجمة مختصرة للقصة الأمريكية . ولا يخفى هذا على قارئ القصة الأمريكية إذ أن النهاية والبداية في القصتين بل والأفكار فيها واحدة رغم الاختصار في القصة التي زعم للفضال عبد الله عبد الصمد البشير أنه كتبها .

لاينبغي أن يغمط حق المؤلف فلا يذكر بيتها يذكر اسم المترجم . إن حق الترجمة للمجلات والصحف معروف الأهمية ، ولكن يجب عند تمصير القصة أو المقال أن تكتب كلة للتعريف عن كتبها قبل أن يعرف من مصرّها .

شفيق أحمد عبد القادر
جامعة فؤاد الأول

الشهر والأشهار :

نشرت (الأهرام) للقراء كلة تحت هذا العنوان جاء فيها : لا مانع من استعمال الفعلين « شهر » و « أشهر » على حد سواء استناداً لما ورد في (المنجد) وهو أشهر الأمر أظهره وصيره شهيراً اه

وأقول : لم يرد في المعاجم القديمة أشهره متعدياً أصلا ، وإنما ورد فيها اشّهره بمعنى شهره .

وأخشى أن يقال : جاء في مستدرك شرح القاموس : ومن المجاز أشهرت فلاناً استخففت به وفضحته وجعلته شهرة . اه فإن هذا النص منقول من أساس البلاغة ، ونص عبارته كما جاء في طبعتيه : ومن المجاز اشّهر فلاناً ... الخ

ولكن جاء في (المغرب) للمطرزي من علماء القرن السادس أو السابع الهجري (٥٣٨ — ٦١٦) ما نصه : وأشهره بمعنى شهره غير ثبت اه . وقوله : غير ثبت أي ليس بحجة . وجاء في المصباح للفيومي من علماء القرن الثامن الهجري : وأما أشهر بالألف فغير منقول اه . ونقل صاحب المعيار هذا النص بدون تعليق . وهذا يدل على أن أشهره كان مستعملا بمعنى شهره الثلاثي ولكنه مشكوك فيه . ولعلنا نظفر به في المخطوطات اللغوية القديمة فإن هذا الاستعمال المتواتر قد يكون موروثاً عن العرب .

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوي



الكهلان

للأديب الفرنسي ألفونس دوديه

— هل هذا كتاب أيها الأب أزان ؟

— نعم يا سيدي . أنه آت من باريس .

كان الشيخ الوقور ينظر إلى كل ما هو قادم من باريس في رهبة وإعجاب ، ولذلك سلم لي الرسالة بعناية واحترام .

ولما كنت رجلاً لا أسير وراء الخيال ، ولا أبالي بسحر العاصمة ، فقد ألقيت نظرة على الرسالة القادمة في الصباح المبكر وكأنها نذير بحلول زائر سأبتلى بقدمه هذا اليوم . ولكني كنت مخطئاً ، فقد كانت الرسالة تتضمن الآتي :

« عزيزي دوديه — يجب أن تغلق الطاحونة اليوم وتذهب في مهمة لأجلي إلى إيجور . إنها على بعد عشرة أميال ليس إلا من الطاحونة ، نزهة صباحية لشباب مثلك (ولم يذكر نزهة أوبتي !) وعندما تصل ، اسأل عن ملجأ الأيتام ، فبجواره تقع دار صغيرة ذات نوافذ رمادية ، وحديقة خلفية . وستجد الباب دائماً مفتوحاً ، فادلف إلى الدار دون أن تطرقه . ثم صح بأعلى صوتك « صباحاً طيباً يا أصدقائي ، إني صديق موريس » وعندئذ ستشاهد عجوزين ، من الغربات ، قبل عهد الطوفان ، غارقين في مقعدين أكثر قدماً منهما فعانقهما لأجلي كما لو كانا من أجدادك الطيبين . ثم تحدث معهما فسرعان ما يشتركان معك في حديث واحد لا ينتهي — حديث موضوعه موريس . وإن يكلا مطلقاً من تقريظ كال منقطع النظير لذلك الأنموذج الكامل الفريد الذي لم يكن ولن يكون . وأرجو ألا تتخلى عني ، ولا تتردد في الإجابة عن أسئلتهما . اضحك كما تشاء ! ولكنهما جداي ، رفيقاي في حياتي الطويلة إلى عشر سنوات مضت .

نعم ، إنها عشر سنوات منذ أن رحلت عنهما قاصداً باريس .

« إن هذين الأرنبين الواهنين قد يتعثران في الطريق إذا حاولا القيام برحلة إلى هنا . فأرجو يا صديق الطحان المحترم أن تقوم بواجبات البنوة بدلاً مني وتقبلهما . لقد انتهيت من رسم صورة لك بالحجم الطبيعي عندهم ، ولونت فيها ملامحك باللون الوردي ... » وسارت الرسالة على هذا النمط حتى نهايتها .

وهكذا شاء حظي العاثر ألا أستمتع بهذا اليوم الفريد فأظل بالدار غارقاً في بحار أحلامي في ركن تغمره الظلال . وها أنذا مرغم على الاجتياز عشرة أميال ، سائر تحت وهج الشمس ومثار الغبار يؤذي عيني . ولكن ، كل شيء يهون في سبيل الصديق ، وأغلقت الباب ، وأدرت المفتاح ، ومضيت ومعي مِتبغي وعصاي .

وصلت إلى إيجور قبيل الساعة الثانية . كانت القرية تكاد تكون خاوية ، كان أهلها يعملون إذ ذاك في الحقول . ولم أجد هناك بالطبع ألا أناناً تتمتع بضوء الشمس ، وحماماً يحوم حول نافورة الكنيسة ، وجنادب — أكثر نشاطاً من زميلاتها في أوراق — تتعالى أصواتها حول شجرة الدردار الأخضر ، وقد أغبرت أجسامها . وهكذا لم أشاهد مخلوقاً يرشدني إلى ملجأ الأيتام . وفجأة لاحت (جنية) طيبة لنجدتي . فقد لمحت عجوزاً هزيلة منطوية على نفسها في مدخل . فسألتها عن الطريق ، فأشارت بأصبع متخاذلة . وبدا لي الملجأ كأنما ظهر بفعل عصا سحرية . كان بناء شامخاً قديماً قاتماً ، يعلوه صليب من الآجر ، وقد نقشت على مدخله كتابة لاتينية ، وقامت بجواره دار صغيرة ، ذات نوافذ رمادية وحديقة خلفية . كانت مقصدي ، فدلفت إليها دون أن أقرع بابها .

إن مشهد تلك الدار قد نقشت في ذاكرتي إلى الأبد : تلك النظافة التامة ، وذلك الهدوء الشامل في الردهة الطويلة ، والجدران الوردية ، والحديقة بأزهارها تتمايل مع النسيم ، وقد بدت خلال النوافذ ذات الألوان الزاهية ، وصفائح الجدران المزدانة بصور الزهر ، وقد حالت من القدم . وخيل إلي كأني في دار أحد أشراف سيدان . وسمعت خلال باب منفرج نصف انفراجة دقة ساعة ، وصوت طفل يقرأ في صوت جهوري ، كلمة كلمة ، ومقطعاً مقطعاً « ثم — أنا — القديسة — ايرينيه — صحت — أنا — دقيق — الإله — ويجب — أن — أطحن — وأنثر — بأنياب — تلك — الوحوش ... » واقتربت وأنا أمشي على أطراف قدمي وتطلعت .

شاهدت في غلالة من ضوء النهار الساكن ، كهلاً منفرج الفم ، واضعاً يديه على ركبتيه ، ومستغرقاً في سبات عميق على

مقعد . كانت وجنتاه موردتين ، وجـلده مجعداً حتى أطراف أصابعه . وجلست تحت قدميه فتاة صغيرة ، ترتدى (شالا) طويلا أزرق اللون ، وقلنسوة صغيرة زرقاء — لباس الأيتام . وكانت هي التي تقرأ سيرة القديسة إرونيه من كتاب يكاد يقارب حجمها . وكانت القراءة المجيبة تفعل فعل الخدر في الحجرة الساكنة . فقد كان كل من الكهل في مقعده ، والذباب في السقف ، والكنارى في القفص ، في سبات عميق . ولم يعكر صفو الحجرة سوى دقات ساعة الجد ، وقد تدفقت أشعة الشمس خلال النافذة بذراتها الكثيرة المتراقصة . وكانت الطفلة لا تزال تقرأ وسط ذلك النعاس الشامل « وسرعان — ما — اندفع — أسدان — صوبها — وافترساها ... » ودلفت إلى الحجرة عند هذه المرحلة الخطيرة !

كان من الجلى أن الأسدين الضاريين لم يحدثا أدنى اضطراب لأهل الدار . ولكن ، عندما لمحتني الفتاة ذات الرداء الأزرق ، أسقطت الكتاب وقد ندت عنها صرخة رعب . واستيقظ الكنارى والذباب ، ودقت الساعة ، وقفز الكهل في فزع وذهول . ووقفت بالمدخل حائراً ، ولكنى تذرعت بالشجاعة وصحت قائلاً « عم صباحاً يا صديق ! أنا صديق موريس » .

وفعل موريس فعل الطلسم . هرول الكهل صوبى مفتوح الذراعين ، وعصر يدى ، ثم جعل يجول في الحجرة ويصيح في ذهول « يا إلهى ! يا إلهى ! » .

وأشرقت كل تجعداته ، وتحول وجهه قرمزيا من الحماس . ثم تمتم قائلا « أواه يا سيدى ! أواه يا سيدى ! » .

ثم هرول صوب الباب يصيح قائلا — هلم يا « ماماه » ، اسرعى يا « ماماه » . وفتح باب في الردهة ، وسمعت صوت حركة ، ثم دلفت « ماماه » .

ما أرقه مشهداً عاطفاً متميزاً ! كانت السيدة العجوز ترتدى وشاحاً ورداء كرمليا باهتا ، وتحمل في يدها منديلا مطرزاً . وما أشد الشبه بينهما وياله من شبه عجيب ! أن أقل تبديل في الملبس ، من قلنسوة أو ما شابه ذلك ، وإذا بك تحسب الجد جدة . فلم تكن تختلف عنه إلا في كثرة تجاعيدها . وكانت لها فتاتان صغيرتان من الأيتام ترعيانها — الكهولة ترعاها الطفولة ! وانحنت الجدة انحناءة منخفضة ، كما كان يحدث في عهد الفروسية ولكن لم يطلق الكهل صبراً لذلك ، فقطع الاحتفال القصير قائلا — « ماماه » هذا صديق موريس .

وارتجفت السيدة وكأنها ورقة من شجر الحور ، وسال الدمع على وجنتيها ، وسقط منديلها ، واحمر وجهها أكثر احمراراً من وجه الجد . ومع أن الكهلين لا يحملان في عروقهما سوى قطرة واحدة من الدم ، فقد كان أول انفعال يؤثر عليهما يكسى وجهيهما بقناع قرمزى . وقالت السيدة للفتاة الزرقاء — اسرعى ! مقعداً للزائر . وقال الكهل لفتاته — افتحى النوافذ . ثم أخذ كلاها بذراعى وسارا في خطى قصيرة إلى النافذة حتى يتفحصا الزائر ، واستحضرت القاعد وإذا بى جالس بينهما ، وقد وقفت الطفلتان خلفهما . وأخذت الأسئلة تترى على : كيف حاله ؟ كيف يقضى وقته ؟ لماذا لم يأت لمشاهدتنا ؟ هل هو سعيد ؟ وهكذا انهالت أسئلتهما قرابة الساعة .

وتحملت ذلك في جلد ، وأخبرتهما بكل ما أعرفه ، بل اختلقت ، بل حتى جاملت . وقلت — ما أرق لون غلاف الحائط يا سيدتى ! إنه لا زوردى جميل ، مزدان بأفنان الورود . فقالت — حقاً ؟ ثم أضافت وهي تلتفت إلى « باباه » — أليس هو شاباً وسيما ؟ فقال — أجل ، أجل ، شاب وسيم !

وشاهدت أثناء حديثى ، إيماءات من الرأسين المشتعلين شيبا ، وإشراقات على الوجهين المجعدين ، وضحكات صبيانية جزلة ونظرات متبادلة . ثم التفت إلى الكهل قائلا — ارفع صوتك . أنها لا تكاد تسمع . وأخذت « ماماه » بثأرها فقالت — ارفع صوتك . إن سمعه ثقيل .

وأطعت ، فابتسما ابتسامة شكر ، وظلا يتشبان وهما يسبران غور عيني ، ويبحثان فيهما عن شبيه لولدهما . ونظرت في أعينهما ، فشاهدت في حلكتها كأنما بدا خلال الضباب المخيم عليها وجه صديق يبتسم . وفجأة صاح الرجل في عجب وهو يهب من مقعده — « ماماه » أتعلمين ؟ ! لعله لم يتناول غداءه بعد .

وخشيت أن تكون أفكارها قد انتقلت بها إلى موريس ، فسارعت أؤكد لها أن الصبي العزيز لا يتناول غداءه متأخراً

وقال الرجل — إنى أعنى صديق موريس .

فقالت — أوه ، عفواً يا سيدى ، عفواً كثيراً .

كان جوعى قد زادت حدته ، ولذلك لم أراوغ .

وقالت للطفلتين — اسرعا أيتها الصغيرتان الزرقاوان ، وضعا غطاء يوم الأحد وسط المائدة واستحضرا أنفر الأوانى المنمقة بالزهور . اسرعا ، لا تضحكا كالأوز الابله ، هيا .

وفي لمح البصر كان الطعام معداً . وقالت الجدة وهي تقودنى

إلى المائدة — هذه وجبة بسيطة وأرجو المعذرة لعدم اشتراكنا معك . فقد تناولنا طعام الغداء قبل الظهر .

لقد كان الكهلان كلما حل عليهما ضيف يقولان دائماً أنهما تناولا طعام الغداء قبل الظهر !.

كان الغداء يتكون من قطعتين من بياض البيض ، وبعض التمر ، وقطعة من الحلوى تدعى « البارك » تكفى لأن تطعم الجدة وكناريها مدة أسبوع . واتجهت إلى الأنظار أثناء تناول الطعام . كانت العصيرتان الزرقاوان تتخافتان ، والكنارى يغرد قائلا — أوه ، انظروا إلى النهم الشره الكبير ، أنه يلتهم كل « البارك » .

كان ذلك النهم الشره الكبير — فى الواقع قد التهم كل ما على المائدة من طعام دون أن يشعر بذلك . فقد كنت غارقاً فى تأمل الحجرة الهادئة المشرقة ، وما يفوح منها من أريج الذكريات.

ووقعت عيناى على فراشين صغيرين ، يكادان يشبهان للمهد ، وتخيلتهما عند الفجر ، وما زالت ستائرها الزركشة الحواشي منسدلة ، والساعة تدق ثلاثا ، وقت استيقاظ الكهلين ، وسمعتهما يتبادلان الحديث :

— أنائمة أنت يا « ماماه » ؟

— كلا يا عزيزى .

— أليس موريس شاباً وسيما ؟

— أجل ، أنه شاب وسيم ، وسيم .

ثم كان مدار حديثهما كله عن موريس . لا شئ غير موريس . من الصباح الباكر إلى المساء الندى !

وبينما كنت غارقاً فى تأملاتى ، إذ بمأساة تجرى فصولها فى طرف الحجرة . كان الكهل واقفاً على مقعد ، يجاهد جهاد الأبطال ليصل إلى قارورة من الشراب المحفوظ ، قائمة على قمة الصوان ، لم تمسها يد منذ عشر سنوات ، بل ظلت تنتظر عودة موريس . وأخذت زوجه تثنيه عن القيام بهذه المحاولة ، ولكن الجد كان قد وطد العزم على الحصول عليها وفتحها تكريماً لضيفه .

وكان يجاهد بكل عصب من أعصابه ، وعضلة من عضلاته ، والعصفوران ممسكان بالمقعد ، والسيدة الكهلة تنظر فى خوف ورعدة وقد ترددت أنفاسها ، وذراعاها ممتدتان لتنقذ البطل عند الضرورة ، وأخيراً ، وبعد مجهود فائق ، نال الكهل مكافأته ، ودفع بالقارورة إلى الجدة وقد أشرق وجهها . وهبت رائحة البرغموت الشذية من الملبوسات داخل الصوان .

واستحضروا قدح موريس الفضي وامتلأ بالشراب حتى حافته . نعم ، كان موريس يعشق هذا الشراب . وهمس الجد وهو يناولنى القدح وقد سال لعابه فى تلذذ ابيقورى — أنت محظوظ ، فإنك لا تحصل على مثل هذا الشراب فى الطاحونة . إن جدته تحفظه له . ومهما كانت الجدة خبيرة فى حفظ الشراب ، فإنها فشلت هذه المرة ، فقد نسيت أن تحليه بالسكر . على أية حال ، يجب أن تتغاضى عن شرود ذهن الكهول . ووقفت لهذه الناسية ، ومررت على أسنانى ، ثم جرعت الشراب دون أن تطرف عينى . وهمست فى انفراد بينى وبين نفسى — سيدتى أن شرابك فظيع !

وعندما قمت أستأذن فى الانصراف ، ألح على الكهلان أن أستمر فى سرد حقيقة قصة ذلك الفتى الكامل ، ولكن الوقت كان قد أزف للرحيل بعد أن خبا الضوء ، لا سيما وأن الطاحونة « على بعد عشرة أميال ليس إلا ! » .

وهب الكهل واقفاً وهو يقول — معطفى يا « ماماه » من فضلك . يجب أن أرافقه إلى ما بعد الميدان .

وأشارت « ماماه » إلى برودة نسيم الليل ، ولكنها لم تثبط نزوة الكهل . وبينما كانت تساعده على ارتداء معطفه الاسبانى الزين بالأزرار الصدفية ، وقد انتشرت عليه بقع السعوط ، إذ قالت له — والآن يا عزيزى ، عدنى وعداً مخلصاً ، ألا تتأخر طويلا فأجاب الكهل ، متضرراً ، فى لهجة تدل على أنه لن يأتى الدار قبل الصباح — نعم ! كلا ! ربما أتأخر ، وربما لا أتأخر — لا أعرف ! ولا أبالى ! — لا تنتظرى يا عزيزتى ، فمعى المفتاح .

ونظر كل منهما فى عينى الآخر ، ثم انفجرا ضاحكين حتى سالت دموعهما . وضحكت معهما العصيرتان الزرقاوان . وشاركهم الكنارى يغرد مع صاحبهم . وإنى أعتقد بينى وبينكم — أن الشراب قد أخذ برأسيهما وجعلهما فى نشوة .

كان الظلام يخيم رويداً رويداً ، عندما غادرت الدار يرافقنى الجد . وكان الرجل يسير فى زهو واعتداد فى ذلك المساء خلال القرية ، وقد اشتبك ذراعه بذراع صديق موريس . فكيف يشعر بمحاولته العصيرة الزرقاء وهى تتبعه من بعد حتى تعود به إلى داره ؟ وكانت الجدة واقفة على مدخل الدار ترقبنا ، وقد أشرق وجهها ، وهى تقول — أترى ؟ أن رجلى لا يزال قادراً على المشى !

محمد فتحى عبد الوهاب